السياسي العجوز



72

مسرحية ذات ثلاثة فصول

تأليف : ت. س. إليوت

المشروع القومى للترجمة

السياسى العجوز

(مسرحية ذات ثلاثة فصول)

تأليف

ت.س.إليوت

ترجمة

فؤاد مجلى

The Elder Statesman

A Play in Three Acts

by

T. S. Eliot

ت. س. إليوت

(١٨٨٨ - ١٩٦٥)

هذه آخر المسرحيات الخمس التى ألفها ت.س. إليوت . وقد عرضت أول مرة بمهرجان إدنبرة فى شهر أغسطس ١٩٥٨ ، عندما كان إليوت قد جاوز السبعين من عمره ، وبعد عشر سنوات من حصوله على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٨ ، وفى أواخر حياة حافلة بالشهرة والمجد .

وهى عمل مسرحى هادىء وعميق تتجاوب فيه أصداء شتى لأفكار وخواطر سبق أن ترددت فى عديد من أعماله الشعرية والمسرحية ، كما تنعكس فيها بعض ملامح شخصية إليوت فى السنوات الأخيرة من حياته .

كانت زوجته الأولى قد توفيت عام ١٩٤٧ ، بعد زواج غير سعيد استمر خمسا وعشرين سنة . أعقبها انفصال دام خمس عشرة سنة . وفى عام ١٩٥٧ ، أى عندما أشرف إليوت على السبعين ، تزوج

سكرتيرته التى كانت تعمل لديه خلال السنوات السبع السابقة ، وعاش معها حياة هادئة هانئة ، عبر عنها فى الكلمات العاطفية الرقيقة التى يتضمنها الإهداء الذى صدر به إليوت هذه المسرحية .

كانت صحة إليوت قد اعتلت فى السنوات الأخيرة من حياته ، عندما عكف على كتابة هذه المسرحية التى تدور حول موضوع دينى يتناول العلاقة بين الإنسان والخالق ، وضرورة الخضوع لمشيئة الله والرضاء بإرادته ، والتخلى عن وسائل الزيف والخداع التى قد يلجأ إليها بعض الناس . وخاصة كبار القوم – لاكتساب هالة زائفة من الوقار ، وقناع مصطنع من الاحترام لإخفاء حقيقة شخصيتهم عمن يحتكون بهم ، سواء فى الحياة العملية ، أو المحيط العائلى .

والمحيط العائلى هو الذى تجرى فيه أحداث مسرحية السياسى العجوز .

الشخصية الرئيسية فى المسرحية ، اللورد كلافرتون Lord Claver-ton ، رجل كهل ، معتل الصحة ، يعانى من أمراض الشيخوخة المبكرة ويعيش فى عزلة بعد حياة حافلة بالنشاط السياسى والعملى ، وبعد وفاة زوجته التى لم يكن بينها وبينه أى تجاوب عاطفى .

وتعيش معه ابنته مونيكا Monica التى تفكر فى الزواج من تشارلز Charles أحد أعضاء البرلمان البريطانى ، لكنها تؤجل ذلك رغبة منها فى ملازمة أبيها المريض وخدمته فى السنوات الأخيرة من

حياته ، وتشرع في إعداد الترتيبات اللازمة لمصاحبته أثناء إقامته خارج لندن في دار للنقاهة ، بعد أن نصحها الطبيب بملازمته أثناء فترة استجمام قد تكون الأيام الأخيرة في حياته .

وللورد كلافرتون أيضا ابن يدعى مايكل Michael ، شاب أناني مستهتر .

في الفصل الأول ، بينما يستعد اللورد وابنته لمغادرة لندن في اليوم التالي ، يأتي إلى زيارته – على غير توقع – زميل من زملاء الدراسة الجامعية في أوكسفورد يدعى كلفرويل Culverwell كان يعيش في إحدى دويلات أمريكا الوسطى منتحلا اسما هو غوميز Gomez ، حيث جمع ثروة طائلة بطرق غير شريفة خلال خمس وثلاثين سنة ، بعد أن قضى في إنجلترا فترة في السجن بتهمة التزوير . وها هو يعود الآن بدافع الحنين إلى الوطن ، ويأتي لزيارة اللورد كلافرتون .

ولايشعر اللورد بارتياح لرؤيته ، خاصة وأن غوميز هذا ينحو عليه باللائمة لفشله في دراسته الجامعية ، وفي حياته العملية بإنجلترا ، واضطراره إلى العيش في المنفى .

ويتأزم الموقف عندما يذكّر غوميز صديقه السابق ، بحادث شخصي خاص بينهما ، خلاصته أنه أيام دراستهما بأوكسفورد ، عندما كان اللورد كلافرتون لا يزال شابا طائشا يدعى دك فيري Dick Ferry قبل حصوله على لقب اللورد ، ذهبا سويا ، ذات ليلة مقمرة ، في جولة

بالسيارة وبصحبتهما فتاتان . كان (ديك فيرى) يقود السيارة ، ومرت السيارة - دون أن تتوقف كما ينبغى - فوق رجل عجوز راقد فى الطريق . هذا هو السر الأول الذى يخشى اللورد أن يعمد غوميز إلى إفضاحه . وكان ما يريده غوميز هو وصل ما انقطع بينه وبين صديقه ، على أن يكون هذا ثمن سكوته عن إفشاء ما حدث .

ويطالعنا السر الثانى فى الفصل الثانى من المسرحية .

فبينما كان اللورد كلافرتون يقضى فترة الاستجمام التى أمر بها الطبيب في دار للنقاهة يرتادها الأغنياء تدعى (بادجلى كورت) Bad-gley Court ، وأثناء جلوسه فى الحديقة ، تقبل نحوه امرأة تدعى (مسز كارجيل) Mrs Carghill ، تطلعه على حقيقة شخصيتها ، وتذكره بأنها كانت فيما مضى نجمة استعراض غنائى ، اسمها (ميزى مونت جوى)Maisy Mountjoy ، وتذكره أيضا بما كان بينهما من علاقة غرامية كادت تنتهى بالزواج كما وعدها ، لولا أن والده حال دون ذلك حرصا على مستقبل ابنه فى عالم السياسة ، ودفع مبلغا ضخما من المال ثمنا لسكوتها وابتعادها عنه . ولكنها تحتفظ بالرسائل الغرامية التى كان (دك فيرى) يبعثها إليها ، وتحملها معها دائما ، وتعرض عليه أن تحضرها فى اليوم التالى لتقرأها عليه .

ويضيق اللورد بصديقه القديم غوميز ، وصديقته القديمة (ميزى) ، ولا يطيق أن يتحمل صداقة رجل مشبوه أو امرأة ساقطة يظهران فجأة

أمامه كشبحين من أشباح الماضى .

وتأتى ثالثة الأثافى فى ظهور (مايكل) Michael ابن اللورد . ومايكل يكاد يكون صورة طبق الأصل من أبيه عندما كان فى سنه ، فى طيشه واستهتاره وعبثه بالنساء ، وقد أدى سلوكه هذا إلى فشله فى حياته ودفعه إلى التفكير فى الهجرة إلى بلد أجنبى يعيش فيه كما يحلو له ، ويهرب من شخصيته ، وينتحل اسما جديدا لايمت بصلة إلى اسم ابيه اللورد .

ويقدر ما كان امتعاض اللورد كلافرتون بما آلت إليه حال ابنه ، كانت بهجة غوميز ومسز كارجيل وأقبالهما على تقديم العون والنصيحة إلى مايكل ، لا من أجل المساعدة الخالصة ، ولكن تشفيا ورغبة فى الانتقام من اللورد فى شخص ابنه ، وأحس اللورد كلافرتون كأنه يرى شريط حياته يعرض أمامه من جديد وتتكرر سقطاته الماضية على يدى ابنه .

والهيكل العام لهذه المسرحية ، وتصوير إليوت لفكرة الماضى وأشباحه ، وما لهم من تأثير على الحاضر ، مقتبس من الدراما الإغريقية ، وهذا الاقتباس هو السمة الرئيسية التى تتجلى فى جميع مسرحيات إليوت وفى مسرحية السياسى العجوز ، التى يمكن أن نطلق عليها اسما ثانويا أو عنوانا آخر هو «صحوة الضمير» يعتمد إليوت على مسرحيتين من تأليف سوفوكليس .

المسرحية الإغريقية الأولى تدعى Oedipus King (أوديب ملكا) وهى أقدم المسرحيتين . وفيها نرى كيف أن البطل أوديب كان قد سبق أن قتل رجلا اعترض طريقه ، دون أن يدرك أن هذا الرجل هو أبوه (لايوس) ملك طيبة ، وتزوج أوديب فيما بعد امرأة وأصبح حاكما لطيبة ، دون أن يعرف أيضا أن تلك المرأة هى أمة . وعندما انتشر وباء الطاعون فى البلاد جاء صوت الآلهة بأن القضاء على الطاعون لن يتحقق إلا إذا تم التخلص من ذلك الشخص الذى قتل الملك (لايوس) . ويشرع أوديب فى البحث عن المذنب ، فيتبين له شيئا فشيئا أن الشخص الذى اقترف ذلك الذنب لم يكن أحدا سواه ، وتستطيع (بوكاستا) أمة وزوجته فى نفس الوقت أن تدرك حقيقة الأمر وتشنق نفسها .. وعندما يكتشف أوديب بشاعة جرمه ، يفقأ عينيه ندما ، ويغادر البلاد .

وفى المسرحية التالية لسوفوكليس ، وتدعى Oedipus at Colon-nus (أوديب فى كولونوس) ، نرى أوديب فى كهولته ، بعد أن فقد بصره ، يجيء إلى مدينه كولونوس بالقرب من أثينا ، وتقوده ابنته أنتيجون Antigone إلى بستان يلوذ فيه بحماية ملك أثينا ، وترشده الآلهة إلى التعرف على الموضع الذى كتب عليه أن يقضى نحبه فيه . وهنا يزوره ابنه بولينيسيز Polyneices طالبا مساعدته ، لكنهما يختلفان ولا يقبل الابن نصيحة أبيه فينصرف . وهنا تعلن الآلهة من قمة جبل الأليمب الساعة التى كتب على أوديب أن يموت فيها ، فيمضى إلى حيث قدر له أن يلقى مصيره . ويختفى ثمناً لخلاص البلاد من لعنة

الطاعون ، وحلول البركة على الأرض .

وهكذا فإن أوجه التشابه بين مسرحية إليوت ومسرحيتى سوفوكليس واضحة .

أما من حيث أوجه الاختلاف فإنه إذا كان سوفوكليس قد صور لنا أوديب كرجل مسير بأمر الآلهة ، فإن اللورد كلافرتون يتمتع بحرية الإرادة وما ارتكب من ذنوب لم يكن بإيعاز من المشيئة الإلهية . ومع هذا فهو يحاسب نفسه حسابا عسيرا ، لأنه يرى أن ما فعله عندما داس جثة رجل فى الطريقة دون أن يتوقف ، وعندما حنث وعده بالزواج من عشيقته ، يرى أن ذلك من دلائل جبنه وتهربه من تحمل مسؤولية سقطاته ، لكنه ، فى نهاية المطاف ، يستطيع أن يواجه مصيره برباطة جأش ، تاركا بركته على ابنته (مونيكا) وخطيبها (تشارلز) .

وهناك موقفان شخصيان فى حياة إليوت نفسه تتردد أصداؤهما فى هذه المسرحية : الأول موقف خاص بعلاقته بزوجته الأولى ، والثانى خاص بعلاقته بزوجته الثانية .

أما عن الأولى ، وكانت تدعى Vivian Haigh - Wood فقد تزوجها إليوت عام ١٩١٥ ، لكنها أصيبت بمرض عقلى أدى إلى انفصالهما .. كما ذكرنا فى بداية هذه المقدمة . طوال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياتهما الزوجية ، إلى أن ماتت عام ١٩٤٧ . وهكذا كانت بينهما فجوة كبيرة لا شك أن ذكراها بقيت عالقة بذهن إليوت

وهى التى أوحت إليه بالكلمات التالية التى تتردد على لسان اللورد كلافرتون فى حديثه مع ابنته مونيكا في الفصل الثالث من المسرحية .

- لم يكن بيننا أى تفاهم

وهكذا عشنا أيامنا ، وبيننا هوة عميقة من الصمت .

إلى أن ماتت فى صمت ، لم يكن لديها ما تقوله لى .

إنى طالما أفكر في أمك وهى راقدة على فراش الموت .

لم يكن يهمها شيء من الحياة التى أدبرت .

ولا تبالى شيئا بما عسى أن يقبل .

أما عن علاقته بزوجته الثانية Valerie Fletcher التى تزوجها عام ١٩٥٧ ، فيكفى أن تقرأ الكلمات التى وردت فى الإهداء الذى صدر به إليوت هذه المسرحية ، ونقارن بينها وبين الكلمات العاطفية التى يتبادلها تشارلز ومونيكا فى الحوار الذى يدور بينهما فى فصول هذه المسرحية .

تلك هى السمات الرئيسية لمسرحية «السياسى العجوز» خاتمة أعمال ت.س. إليوت ، وكان قد كتب بعض أجزائها وهو يقضى فترة النقاهة من مرض صدرى كان يعانى منه فى السنوات الأخيرة من حياته .

الشخصيات

Monica Claverton - Ferry	مونيكا كلافرتون فيرى
Charles Hemington	تشارلز هيمنجتون
Lambert	لامبرت
Lord Claverton	اللورد كلافرتون
Federico Gomez	فيديريكو غوميز
Mrs. Piggott	مسز بيجوت
Mrs. Carghill	مسز كارجيل
Michael Claverton - Ferry	مايكل كلافرتون فيرى

إهداء

إلى زوجتى

التى أدين لها بالبهجة المتوثبة

التى تحرك مشاعرى فى ساعات يقظتنا ،

والإيقاع الذى يضبط هجوع منامنا ،

والأنفاس التى توحد بين حبيبين ..

تخطر لهما نفس الأفكار دون حاجة إلى كلمات .

ويتمتمان نفس الكلمات دون حاجة إلى معانٍ ،

أهدى إليك هذا الكتاب ، محاولا قدر طاقتى ،

أن أرد إليك بالكلمات .

جزءا يسيرا مما أغدقت علىَّ

والكلمات لها دلالات معروفة

ولكن بعض الكلمات ذات دلالات أكثر عمقاً

بالنسبة لنا أنتِ وأنا ، وحدنا

الفصل الأول

حجرة الاستقبال فى بيت اللورد كلافرتون بلندن

الساعة الرابعة بعد الظهر

(تسمع أصوات فى الردهة)

تشارلز : هل والدك اليوم فى البيت ؟

مونيكا : ستراه وقت تناول الشاى .

تشارلز : ولكن حيث إنك لست بمفردك

فلا داعى لبقائى للشاى .

(تدخل مونيكا وتشارلز يحملان صناديق المشتريات)

مونيكا : ولكن يجب أن تبقى لتناول الشاى.

هذا هو ما فهمته منك عندما قلت لى إن بإمكانك أن

تقضى فترة بعد الظهر كلها معى .

تشارلز : ولكنى لم أتمكن من إنهاء حديثى معك أثناء تناولنا

الغداء ..

مونيكا : أنت الملوم .

فقد كان من الأفضل أن تأخذنى إلى مطعم آخر بدلا من

ذلك الذى يبدو أن رئيس الخدم وجميع ندله من أعز أصدقائك .

تشارلز : لكنه المطعم الوحيد الذى يعرفوننى فيه معرفة شخصية ، وأجد فيه خدمة جيدة ، وما دمت ضيفتى فلابد أن يقدم لك غداء ممتاز .

مونيكا : كان غداء ممتازا حقا .
لكنى أعرف أن الرجال يميلون إلى المباهاة وتهافت الخدم حولهم .
وهذا يذكر ضيفتهم أنها ليست المرأة الوحيدة التى اصطحبها إلى ذلك المكان .

تشارلز : عاكسينى كيفما يحلو لك .
ولكن إنه لأحمق ، هو ذلك الرجل الذى يصطحب صديقته إلى مكان لا يعرفه فيه أحد ،
وحيث يبدو أن الخدم يتحاشون النظر إليه .

مونيكا : لقد خرجنا عن الموضوع ..

تشارلز : أنت التى أخرجتنى عن موضوعى . فبينما كنت أحاول أن أشرح لك ..

مونيكا : الموضوع ببساطة هو بقاؤك لتناول الشاى كما وعدتنى.

تشارلز : كل ما أود أن أوضحه هو ما يأتى :

إنك ستغادرين لندن مع والدك يوم الاثنين وقد استعددت لأقضى معك فترة بعد الظهر كلها على أساس أن ..

مونيكا : أن تبقى لتتناول الشاى .

تشارلز : عندما قلت إننى سأبقى معك طوال الوقت بعد الظهر فهذا يعني أنك لن تنشغلى بأحد سواى طوال الوقت . ولم يتسع وقتنا فى المطعم لأقول لك كل شىء ، وبعد هذا اصطحبتنى معك فى جولة واسعة فى المحلات التجارية ..

مونيكا : إن كنت لا تميل إلى مصاحبتى أثناء التسوق ..

تشارلز : طبعا أحب الذهاب معك إلى المحلات ، ولكن كيف يستطيع المرء أن يتبادل الحديث أثناء التسوق فيما عدا التكهن بما تودين شراءه وتشجيعك على شرائه .

مونيكا : ولكن لِمَ لا تبقى لتناول الشاى ؟

تشارلز : وهو كذلك ! سأبقى لتناول الشاى .

لكنك تعرفين أننى لن تتاح لى فرصة التحدث معك .

فمنذ أن تقاعد والدك عن العمل فهو يبقى فى المنزل كل يوم ، وها أنتما تستعدان لمغادرة لندن .

وحيث إن والدك لا يطيق أن يستأثر بك أحد سواه ، فقبل أن أفوه بكلمتين ، إذا به يقبل نحونا يتهادى فى

مشيته ..

مـونيكا : ها أنت قد تفوهت بأكثر من كلمتين ، وفضلا عن ذلك ، فإن والدى لايتهادى فى مشيته إنك لا تلتزم بمراعاة الاحترام نحوه.

تشـارلز : بل أحاول أن أراعى الاحترام ، لكنك تعرفين أننى لن أستطيع الانفراد بك دقيقة واحدة .

مـونيكا : وها أنت قد سنحت لك فرصة الانفراد بى دقائق عديدة لكنك أضعتها في التشكى دون داع .

أوكد لك يا تشارلز أن والدى سيظل حبيس المكتبة طوال الوقت ، ولن يغادرها إلا حين يدعى إلى تناول الشاى فلمَ لانبدأ في الحديث ؟

على أنى أعرف جيدا ما تريد أن تقول لى ، فطالما سمعت ذلك من قبل .

تشـارلز : وسوف تسمعينه ثانية . إنك تظنين أنى سأخبرك مرة ثانية أنى أحبك . وأنت على صواب .

لكن هناك أمراً آخر لم أشر إليه من قبل ، وسوف تذهلين عند سماعه .

أعتقد أنك تحبيننى بالمثل !

مـونيكا : يا لك من رجل يحب السيطرة !

يبدو أنك تتخيل أنك منوم مغناطيسى !

تشـــارلـز : هل هذا هو وقت يليق فيه تعذيبك لى؟

لكن ، من الأنانية أن أقول هذا ،

لأننى أعتقد أنك تعذبين نفسك أيضا .

مـــونيـكـا : أنت على حق . إننى فعلا أحبك .

تشـــارلـز : لقد كنت إذن على حق !

ففى اللحظة التى تفوهت فيها بهذه الكلمات انتبابنى شعور بالخوف ، إذ لم أكن واثقا من حبك لى ، ولم أكن أريد إلا أن أطمئن إلى ذلك ،

وقد نجحت في أن أجعلك تبوحين به .

وحيث إنك قد بُحت به مرة ، يجب أن تبوحى به ثانية فما أحوجنى إلى مثل ذلك التأكيد.

أواثقة أنت أنك لم تخطئى؟

مـــونيـكـا : كيف تملكنى هذا الإحساس العجيب يا تشارلز؟

أعتقد أنه أقبل نحوى بخطوات فى غاية الرقة ، وظل واقفا خلفى ، فى هدوء مدة طويلة ، طويلة جدا ، قبل أن أتنبه إلى وجوده .

تشـــارلـز : تبدو كلماتك كأنها آتية من بعيد ،

لكنها مع ذلك قريبة جدا .

إنك تحدثين فىّ تغييرا

وأنا كذلك أحدث فيك تغييرا .

مـونيكا : ترى إلى أى حد أصبحتُ أنا أنتَ؟

تشـارلز : وإلى أى حد أصبحتُ أنا أنتِ؟

إنى الآن لست الشخص الذى كنته منذ لحظات ، وما

كنه هذه الألفاظ الآن : أنا وأنت؟

مـونيكا : فى عالمنا الخاص .. وقد أصبح لنا الآن عالم خاص ..

لقد تغيرت المفاهيم .. انظر ! لقد عدنا إلى نفس الغرفة

التى دخلناها منذ لحظات.

ها هو المقعد ، وها هى المائدة.

وها هو الباب .. وأنا أسمع وقع أقدام

إنه صوت (لامبرت) قادما بعربة الشاى ..

(يدخل لامبرت بعربة الشاى)

وسأقول له :

لامبرت ، أخبر اللورد أن الشاى فى انتظاره.

لامبرت : حسنا يا آنسة مونيكا.

مـونيكا : يسعدنى يا تشارلز ، أنك تستطيع البقاء لتناول الشاى

(يخرج لامبرت)

نعود الآن من عالمنا الخاص إلى دنيا الناس

تشـــارلز : وسوف يأتى والدك ، ويلقى كلمات ترحيب لطيفة تنبهنى
إلى عدم الإفراط فى البقاء ، فأنتِ ملك له وحده .
يبدو أنه يزعم بكل بساطة ، أنك لاتهتمين بمجالسة أحد
سواه!

مـونيكا : أرجو ألا تفترض أن شيئا مما قلت لك
يخولك الحق فى انتقاد والدى
فأولا ، أنت لا تفهمه حق الفهم
وثانيا ، نحن لم نعقد خطبتنا بعد .

تشـــارلز : لكنا اتفقنا على أن كلا منا يحب الآخر
وحيث إنه لا توجد أية موانع قانونية
ألا يكفى هذا لقيام خطبة بيننا ؟
ألست واثقة أنك ترغبين الزواج بى ؟

مـونيكا : بل إنى موقنة بذلك يا تشارلز،
عندما يحين الوقت المناسب .
ولكن ربما تكون قد غيرت رأيك أنذاك .
كما يحدث أحيانا بين الخطيبين .

تشـــارلز : لن أفعل هذا

(صوت طرق على الباب ، يدخل لامبرت)

لامـبـرت : عفوا يا آنسة مونيكا ، لقد طلب اللورد أن أخبرك ألا

تنتظرى حضوره .

مــونيكا : شكرا يا لامبرت

إنه مشغول الآن ، لكنه لن يتأخر كثيرا .

(يخرج لامبرت)

تـســـارلـز : ألا ترين أنك تعذبيننى ؟

كم يوما ستظلين حبيسة مع والدك فى ذلك الفندق الفاخر الذى ستأخذينه إليه لقضاء فترة نقاهته؟ وماذا سيحدث بعد ذلك؟

مــونيكا : هناك عديد من الأسباب الوجيهة التى تبرر ذهابى معه .

تـشـــارلـز : أسباب أفضل من الزواج بى ؟ أية أسباب تلك ؟

مــونيكا : أولا ، إنه يخشى الوحدة

فطوال حياته ، لم يجد نفسه وحيدا على الإطلاق ، وكان عندما يعود إلى البيت فى المساء ، حتى وهو منهمك فى القراءة أو تصفح أوراقه الخاصة ، كان يشعر بالحاجة إلى وجود شخص معه بالحجرة ، شخص يقرأ ، أو لا يفعل شيئا سوى مجرد الجلوس إلى جانبه ، بحيث يمكن له أن يقاطع ذلك الشخص ، أو يوجه إليه ملاحظة من وقت إلى آخر .

وكان ذلك الشخص .. فى معظم الأوقات .. هو أنا

تشـــارلـز : إنـى أعلـم ذلك . ومن دواعى الأسـف أنـه لـم يكن هناك إخـوة أو أخـوات يتناوبون العبء . وعلى الأخص عـدم وجود أخوات لك ، إذ إن أخاك لم يكن ذا فائدة قط لكِ .

مـونيكـا : ولن يكون مايكل ذا فائدة لأى إنسان.
فقد أفسدته أمنا بتدليله ،
وكان والدنا يعامله بمنتهى الشدة،
ولهذا فهما على خلاف دائما .

تشـــارلز : تقولين إن هناك أسبابًا عديدة
تحملك على مصاحبة والدك.
هل هناك سبب آخر أفضل من خوفه من الوحدة؟

مـونيكـا : السبب الثانى هو نقيض السبب الأول
إنه يخشى لقاء أشخاص غرباء .

تشـــارلز : لكنه لا يتألق إلا وهو بين الناس
يحاورهم ويناورهم ، متملقا أو متنمرا ،
وهو سيد الموقف مع الجميع ! أشخاص غرباء ؟!

مـونيكـا : لقد أخطأت الفهم . هناك فرق كبير بين الالتقاء بالناس وأنت فى موقع سلطة ، وعليك سيماء الجبروت والنفوذ ، عندما يكون الرجل الذى يلتقى به الناس ليس صاحب الشخصية الخاصة ، بل الشخصية العامة . ففى مزاولة

نشاطه السياسى كان والدى يستتر خلف شعار عام .
وفيما بعد ، أثناء عمله مديرا لشركات عمومية ، كان أيضا يخفى شخصيته الحقيقية ، ولا يظهر إلا شخصيته العامة .

تشـارلز : لقد أتقن إخفاء الجانب الخصوصى من شخصيته إلى درجة تجعلنى أتساءل إذا كان حقا ذا شخصية خاصة تستحق الحفظ .

مونيكا : نعم لديه جانب شخصى فى حياته .
لا شك لدى فى هذا .

تشـارلز : حسنا ، لقد ذكرت سببين أحدهما نقيض الآخر .
هل لديك ثالث ؟

مونيكا : السبب الثالث هو ما يأتى :
سبب ذكره لى الدكتور (سيلبى) أخيرا :
إن حالته الصحية أخطر مما هو يدرك.
ومن يدرى ، فقد لا تكتب له العودة مطلقا من دار النقاهة . لكن الطبيب يريد تشجيعه بكل الوسائل
فإذا أحيينا فيه الأمل ، فربما عاش مدة أطول ، ولهذا اختار الطبيب ذلك المكان (بادجلى كورت) دارا للنقاهة .
فجوها كجو الفنادق ، يختلف عن جو المستشفيات .

ويها أفضل ما يوحى باستعادة الصحة والعافية .

تشـــــارلز : هذا أفضل سـبب ، كـمـا أنه أيضـا سـبب يبـعث على القنوط . فقد يطول ذلك الوضع ، وتضطرين إلى تأجيل الزواج مرة تلو المرة .

مـونيكا : أخـشى ألا يطول ذلك يا تشـارلز . وأكـاد أجـزم بأن الترتيبات التى اتخذناها لتقضية فصل الشتاء فى جمايكا ستذهب سدى ، لكن الطبيب قال : «استمرى فى إعداد تلك الترتيبات كأنكما فعلا ستذهبان إلى جمايكا» .

ولكن دار النقاهة قريبة من دائرتك الانتخابية ، ولهذا يمكنك أن تزورنا في عطلة نهاية الأسبوع ، حتى ولو كان البرلمان لا يزال فى دورة انعقاده . ونستطيع أن نخرج معا ، أنا وأنت إذا تسنى لوالدى الاستغناء عنى بعض الوقت . وسوف يسعده أن يتجاذب معك أطراف الحديث.

تشـــــارلز : أعرف أنه اعتاد رؤيتى من وقت إلى آخر .

مـونيكا : لقد راقبته وهو ينظر إليك ، كأنه يستعيد ذكرياته عندما كان فى مثل سنك ، عندما بدأ حياته مثلك تراوده نفس الآمال ، وتحدوه نفس الأحلام ، ويتذكر أيضا آماله التى

لم تتحقق .

تشـــارلز : هل كان ذلك من قبيل الحسرة ، أم العطف ، أم الحسد؟

مـونيكا : أما عن الحسد فهو شيمة الناس أجمعين فمن منا قد تجرد من الحسد ؟

وقد لا يدرك هذا معظم الناس،

ولا يخجلون من كونهم حسودين ..

وهذا هو كل ما نرجوه إذا اختلط الشعور بالعطف مع الحسرة والحسد . إننى أعتقد يا تشارلز أن والدى مغرم بك . لهذا يجب أن تزورنا كثيرا وشىء آخر يا تشارلز

(يدخل اللورد كلافرتون)

مـونيكا : طال انتظارنا لك يا والدى ! ترى ، ماذا كنت تفعل ؟

الـلـورد : مساء الخير يا تشارلز .

هل تعرفين ماذا كنت أفعل يا مونيكا ؟

ألا تذكرين هذا الدفتر؟

مـونيكا : نعم ، هو دفتر مواعيدك.

الـلـورد : نعم ، كنت أتصفحه .

مـونيكا : وهل هذا وقت تصفح دفتر المواعيد؟

لقد أشار الأطباء عليك بالراحة التامة

وعدم التفكير فى أى شىء

وإن كنت أعلم أن هذا ليس بالأمر السهل .

اللـــــورد : وهذا بالضبط ما كنت أفعل .

مـونيكا : هل كنت تفكر فى لا شىء؟

اللـــورد : كنت أتأمل فى لا شىء ،

لا تنسى أننى كنت كل يوم ، سنة بعد أخرى ،

أنظر فى هذا الدفتر

وأنا أتناول الفطور ، أو فى مثيله من الدفاتر ،

وكما تعلمين ،

فإنى أحتفظ بالدفاتر السابقة كلها على نفس الرف .

ويمكنى ، إذا أردت ، أن أعرف بالضبط ما فعلته فى مثل هذه الساعة من عشرين سنة ، واليوم أيضا ، إن لم يكن أثناء تناول الإفطار ، فقبيل تناول الشاى ، كنت أنظر فى هذا الدفتر ، وأقلب الصفحات الخالية التى أعقبت دخولى البرلمان . كنت فى تلك الأيام أدون بعض المذكرات عما كنت أعتزم قوله للناس . والآن .. ليس هناك ما أقول ، وليس هناك أحد أقوله له .

وكنت أتساءل : كم صفحة مثل تلك الصفحات الخالية كتب علىّ أن ألقاها ؟

مـونيكا : وما أسرع ما ستملأها إذا سمحنا لك بذلك !

ولكن هذا هو ما ينبغى على أن أحول دونه ، فمن
واجبى أن أحميك من نشاطك الذى لا يكل ولا يفتر ،
ومن طاقتك التى لاتفنى والتى تهدد الجهاز كله بالعطل !

اللورد : لقد نضبت موارد الطاقة كما تعرفين يا مونيكا.
إن الأطباء ينصحوننى بالتماس الراحة يا تشارلز .
ويشيرون على بالحذر ،
وبالتزام الهدوء والسكينة ! التزام الهدوء !
إنهم كمن ينحصون المسافر ألا يجرى خلف القطار فى
حين أن آخر ما قد يخطر على باله هو أن يركب قطاراً !
ليست لدى أدنى رغبة في العودة إلى الحياة التى خلفتها ،
غير أن كل ما أخشاه هو الخوف من ذلك الفراغ الممتد
أمامى . لو كانت لدى طاقة تكفى لأن أعمل حتى الموت ،
فما أشد شوقى للقاء ذلك الموت .
أما الانتظار ، مجرد الانتظار دون رغبة فى القيام بأى
عمل ، مع النفور من الخمود والخمول ،
الخوف من الفراغ ، دون الرغبة فى ملء ذلك الفراغ ،
إنه كالجلوس فى حجرة انتظار خالية ،
فى إحدى محطات السكك الحديدية الصغيرة بعد أن
يكون آخر قطار قد غادر ، وآخر راكب قد مضى ،

وأغلق شباك التذاكر ، وانصرف الحمالون .
ماذا عساى أن أنتظر ، فى حجرة باردة خاوية ، أمام
مدفأة خالية ، لا أنتظر أحدا ، ولا أنتظر شيئا !

مونيكا : لكنك كنت تتطلع إلى هذا الوقت بالذات
ألا تذكر كم كنت تتململ
أثناء حفل التوديع الذى انهالت فيه عليك عبارات المديح
والإطراء من زملائك والهدية التى قدموها لك ، والخطاب
الذى ألقيته ، والخطب التى لم تجد مفرا من مواصلة
الاستماع إليها ؟

اللورد : (يشير إلى الصينية الفضية التى لا تزال فى علبتها)
لست أدرى أيهما كان أوقع أثرا :
الزيف الذى قيل عنى ، أم الزيف الذى رددت به عليهم
لأشكرهم على تلك الهدية
لن أنسى التبرعات التى دفعوها صاغرين لشراء
هذه القطعة من الفضة
والتى لم تف بثمن ما يجب تقديمه لرئيس الشركة ،
وزملائى المديرين وهم يقولون : «لا مفر من المساهمة
لمضاعفة المبلغ الذي جمع ،
لكى نشترى شيئا ذا منظر جذاب » .

وسوف تصلح الصينية الفضية لاستلام بطاقات الزوار ،
هذا إذا كان هناك من سيزوره ويترك بطاقته ،
وإذا سمح له باستقبال زوار .

مونيكا : والدى ! يبدو أنك تود التلذذ بالاكتئاب !
لا تنس أنك تقاعدت وحولك هالة من المجد والشهرة ،
واستمتعت بقراءة كل كلمة كتبت عنك فى الصحف .

تشارلز : وقالت الافتتاحيات : «إننا على ثقة من أنه لن يتوانى عن إسداء نصائحة الثمينة لرجال الحكم» .
وأخذ الكل يتطلعون إلى الاستماع إليك .
وأنت تدلي برأيك فى مناقشات مجلس اللوردات ..

اللورد : آيات المدح المنتظرة من رجال الصحافة عندما يتقاعد أى كبير . ولو كنت قد توفيت أثناء قيامى بالخدمة ، فإن نعيى كان سيشغل عامودا ونصف عامود ،
ومعه صورة أخذت لى قبل عشرين عاما .
ولكن بعد خمس سنوات سينكمش النعى إلى نصف المساحة ،
وبعد عشر سنوات لن يزيد على أسطر معدودات .

تشارلز : هذا جزاء كل من يشغل منصبا عاماً .

اللورد : بل قل إنها المراسم الجنائزية لتوديع الناجحين الفاشلين ،

الفصل الثانى

شرفة (فراندة) فى دار (بادجلى كورت) للنقاهة ، صباح يوم مشمس ، بعد عدة أيام تالية للفصل الأول .

يدخل اللورد كلافرتون ومونيكا

مونيكا : الحال هنا أحسن مما كنت تتوقع يا والدى
أليس كذلك ؟ فقد تركونا وشأننا .
وفى صالة الأكل لا يبدى الناس فضولا ولاتطفلا ،
والفراش مريح ، والمياه الساخنة ساخنة فعلا ،
ويقدمون لنا إفطارا مناسبا جدا ،
وخادمة غرف النوم لا شأن لها إلا بغرف النوم ،
إذ إننى عندما سألتها عن قهوة الصباح
أجابت قائلة : «لا علاقة لى بها ، فهى من اختصاص المرضة» .

اللورد : نعم ، إلى هنا وكل شىء على ما يرام
وسيزداد شعورى بالاطمئنان بعد مرور أسبوعين ،
بعد مرور أربعة عشر يوما دون حملقة الناس فى وجهى ،

أو إقحام المجلات المصورة ، أو البحث عن زميل رابع
يشاركهم لعبة البريدج
وعلى أية حال ، لا أنكر أننى أشعر بشىء من الاطمئنان
واعتدال المزاج ،
وكل مرادى أن يدوم هذا الشعور ،
ذلك الذى يزاملنا أيام الشباب دون أن نكاد نلحظة ،
وبعد أن تتقدم بنا الأيام لا نراه إلا لماما .
كما أرجو أن تستمر هذه الشمس الحنون بدفئها الممتع
بضعة أيام أخرى .
غير أن هذا الصيف المبكر ، فى غير أوانه ،
غالبا ما يكون نذيرا بظهور الصقيع على أشجار الفاكهة

مونيكا : دعك من هذا يا أبى ، ولنستمتع بهذا
الجو الجميل قبل زواله .
إنك دائما تشغل نفسك ببواعث القلق الذى تتوق إلى
الهروب منه ،
وأريد منك أن تشرع فى التسرية عن نفسك .

اللورد : إننى لم أستمتع قط بالحياة كما يفعل معظم الناس ، أو
على الأقل كما يبدو أنهم يستمتعون بها دون أن يعرفوا
ذلك .

لكننى أعلم أننى لم أستمتع بها . ويخيل إلى أن هناك
فى قرارة نفسى شعورا بعدم الرضى والارتياح ، ظل
يدفعنى طوال حياتى إلى البحث عن تبرير ليس إزاء
العالم بقدر ما هو إزاء نفسى أولا .
ما عسى أن تكون هذه النفس التى بداخلنا ، ذلك
الرقيب الصامت ، والناقد الصارم فى غير كلمات ،
القادر على إلقاء الرعب فى نفوسنا ، وحثنا نحو المزيد
من نشاط لا طائل وراءه ،
وفى نهاية الأمر يديننا بأقصى الشدة من أجل تلك
الأخطاء
التى لولا توبيخه لنا لما ارتكبناها ؟

مونيكا : لكنك لا تنكر أنك الآن تحس ببهجة الحياة
ويما يشيعه هذا المكان فى النفس من هدوء ودعة
وحتى الرئيسة ، رغم ما يبدو عليها من علائم السيطرة
والهيمنة قد تركتنا وشأننا .

اللورد : نعم . ولكن لا تنسى ما قالته لنا ! لقد قالت :
«سأترككما وشأنكما ، فأنتما فى حاجة إلى الهدوء التام
وهذا هو ما ستوفره لكما دار (بادجلى كورت للنقاهة)
هذه الكلمات أثارت الشكوك فى نفسى ، فعندما يتحدث

الناس بهذا الأسلوب .

تكون لديهم رغبة كامنة فى التدخل فى شؤون الآخرين .

وهى رغبة وشيكة الانفجار بكل تأكيد !

مـونيكا : صه يا والدى ! إنى أراها مقبلة من هناك .

خذ صحيفتك ، وابدأ فى التلاوة بصوت مسموع

(تدخل مسز بيجوت)

مسز بيجوت : صباح الخير يا لورد كلافرتون ! صباح الخير يا آنسة كلافرتون

أليس هذا صباحا رائعا ؟!

أخشى أن تشعرا أننى قد أهملتكما ،

لهذا جئت أقدم اعتذارى وأشرح السبب .

الواقع أننى كنت فى هذه الأيام الأخـيـرة فى غـاية الانشغال

لكننى قلت لنفسى : إن اللورد كـلافـرتـون ، دون شك ،

سيقدر لماذا لم أسرع لرؤيته بعد الإفطار مباشرة ؛ إذ إنه أيضا

كانت حياته حافلة بالمشاغل والمسؤوليات ، لكنى أرجو

أن تكون فى غاية الارتياح . إذا كنت فى حاجة إلى

شىء لم نوفره لك أما عليك إلا أن تفصح لنا عن رغبتك .

اتصل بى هاتفيا ، وإن لم أكن فى مكتبى ستكون هناك
سكرتيرتى ، الآنسة تيمينز ،
وهى ستشعر بمنتهى السعادة إذا أتيح لها شرف
خدمتك

مونيكا : شكرا على مشاعرك الرقيقة .. ولكن معذرة !
لا نعرف بأى لقب نناديك
هل نطلق عليك اسم : «السيدة الرئيسة» ؟

مسز بيجوت : كلا ! كلا! بالطبع أنا الرئيسة ،
ولست أعنى أننى مجرد امرأة متزوجة ،
فالواقع أننى أرملة ، لكنى أحمل لقب ممرضة مؤهلة وقد
عشت دائما فى وسط يمكن أن نسميه وسطا طبياً فقد
كان والدى خبيرا فى علم الأقرباذين
وكان زوجى جراحا شهيرا .
هل تصدقان أننى أغرمت به أثناء قيامه بعملية
استئصال زائدة دودية ؟
كنت ممرضة بغرفة العمليات . لكن لا تدعوانى «رئيسة»
هنا فى دار (بادجلى كورت) فقد راعينا أن نتجنب كل
ما من شأنه أن يضفى على المكان جو دار للتمريض أو
الاستشفاء .

ولا نريد أن يحس ضيوفنا بأنهم مرضى وإن لم يكن
جميع نزلائنا بصحة موفورة ، فيما عدا من يكون هنا
مثلك يا آنسة كلافرتون .

مونيكا : كلافرتون فيرى هو اسمى الكامل ،
أو فيرى - من قبيل الاختصار

مسز بيجوت : عفوا يا آنسة كلافرتون فيرى .
أنا أدعى مسز بيجوت
يكفى أن تناديني بهذا الاسم ، فهو بسيط ، وقصير ،
ويسهل تذكره .
كنت أقول يندر أن يكون نزلاؤنا ممن يتمتعون بصحة
جيدة ،
ولو أننا نرفض قبول أى نزيل يعانى مرضا مستعصيا
وقد انهالت علينا طلبات من مرضى يودون أن يقضوا
هنا أيامهم الأخيرة ،
لكننا لا نسمح بقبولهم ، ولا نقبل من يبدو عليه أنه يعانى
من مرض مستعصٍ ،
وهذا شرط نصر على أن يلتزمه الأطباء الذين يرسلون
مرضاهم إلينا .
ولهذا ، عندما تذهبان لتناول وجبة الغداء ،

أرجو أن تلقيا نظرة إلى الموجودين فى غرفة الأكل ،

فلن تجدا شخصا تبدو عليه علامات المرض ، إنهم

جميعا يقضون فترة النقاهة ،

أو جاءوا مثلكما طلبا للراحة . وتذكرى أن تناديني دائما

باسم مسز بيجوت ،

مونيكا : حسنا يا مسز بيجوت . وبهذه المناسبة ،،

كانت وصيفة غرف النوم قد أشارت إلى

وجود من تدعى بممرضة

لكننا لم نرها بعد . هل نخاطبها بلقب ممرضة ؟

مسز بيجوت : نعم فهذا وضع مختلف

إنها ممرضة حقيقية ، تحمل كل المؤهلات

وهكذا تلاحظان أننا نتبع هنا نظاما متوازنا :

فأنا ، بكل بساطة ، أدعى مسز بيجوت ،

وهذا يطمئن نزلاءنا من ناحية ،

وهناك من تدعى ممرضة ،

وهذا يطمئن النزلاء من ناحية أخرى

اللورد : لقد شرحت لنا الوضع بمنتهى الوضوح !

مسز بيجوت : والآن ، ينبغى أن أمضى بسرعة ، فإنى مشغولة جدا ،

ولكن قبل أن أنصرف ، اسمح لى أن أغطيك بعناية .

ينبغى أن تحتاط إلى أقصى درجة فى هذه الأيام فهذا
الجو الدافىء ، قبل أوانه ، قد يؤدى إلى عواقب وخيمة ..
والآن – يبدو أنك أكثر شعورا بالراحة .
لا تدعيه يمكث فى الهواء الطلق مدة طويلة بعد الظهر
يا آنسة كلافرتون فيرى ،
وتذكرى : إذا أردتما مكانا فى منتهى الهدوء والسكون
فهناك الغرفة المسماة غرفة السكوت : بها جهاز تلفزيون
وتجد إقبالا كبيرا من النزلاء فى المساء ،
دون أن تكتظ بهم !

(تخرج)

اللورد : هذا هو أخشى ما كنت أخشاه ، لكننى مع هذا لن أقول
ليس فى الإمكان أسوأ مما كان . فحيثما توجد امرأة
مثل مسز بيجوت ،
فقد يكون – بين النزلاء – من هى أسوأ من مسز بيجوت

مونيكا : لعل حديثها هذا هو مزيج الشراب الذى تقدمه تحية لكل
زائر جديد .
وعسى أنها بعد تأدية تلك الحفاوة الواجبة ،
ستتركنا وشأننا دون إزعاج

(تدخل مسز بيجوت مرة ثانية)

مسز بيجوت : ما أشد إهمالى يا آنسة كلافرتون فيرى
ينبغى أن أشرح لك المزيد من الإمكانيات التى تقدمها
دارنا للشباب
فإذا تواجد لدينا عدد مناسب من الشبان والشابات
أقمنا حفلة رقص فى المساء ، وهذا للأسف ،
لا يتوافر الآن ،
وهناك حوض للسباحة ، لكن ليس هذا أوانها .
على أن العديد من نزلائنا يقبلون على ممارسة رياضة
التنس ،
ولدينا أيضا ساحة للعبة الكروكيه . ولكنى لا أشير عليك
باللعب قبل أن تتوافر لديك معلومات كافية عن النزلاء
الآخرين تساعدك فى معرفة من منهم ينبغى تجنبه .
ولن أسمى أى أسماء
ولكن يوجد شخص أو شخصان لا يتقبلان الهزيمة
بصدر رحب ،
وهذا – فى رأيى – كفيل بإفساد الروح الرياضية

مونيكا : شكرا يا مسز بيجوت ، لكنى مولعة برياضة المشى وقد
قيل لى إن بهذه المنطقة ممرات فى غاية الجمال .

مسز بيجوت : نعم ! وسوف أعيرك إحدى الخرائط .

هناك ممرات بديعة جدا ، على الشاطىء أو بين التلال ،
بعيدا عن طرق السيارات . ينبغى أن تتعرفى على أى
تلك الطرق هى الأفضل
ولا حاجة بى للاعتذار عن خلوها من الجلبة والضوضاء
فالهدوء والسكينة هما المبرر الأكبر لوجودنا .
ولهذا سأترككما تنعمان بالهدوء والسكون

(تخرج)

مونيكا : أرجو ألا تتذكر شيئا آخر

اللورد : ستعود لتخبرنا المزيد عن الهدوء والسكون

مونيكا : لا أعتقد أنها سترعجنا ثانية
فقد أحسست من ملامح وجهها وهى تنصرف أنها قد
قامت بواجبها نحونا اليوم على خير وجه .
وسوف أقوم بجولة فى المنطقة . لا تنزعج إلى هذا الحد
إذا حدث أن لمحت شخصا مقبلا نحوك
فما عليك إلا أن تغطى وجهك بالصحيفة ، والتظاهر بأنك
تتظاهر بالنوم ،
لأنهم إذا ظنوا أنك نائم فعلا فسوف يسرعون إلى
إيقاظك ، أما إذا رأوا أنك تتظاهر بذلك فسوف تكفيهم
الإشارة

(بعد لحظة يغطى اللورد كلافرتون وجهه بالصحيفة ، تدخل مسز كارجيل ،

وتجلس على كرسى من كراسى الحدائق ، وتخرج أدوات الحياكة)

مسز كارجيل : (بعد لحظات) أرجو ألا أكون مصدر إزعاج لك ، إننى أجلس هنا دائما . ففى هذا الركن يحظى الجالس بأكبر قدر من أشعة الشمس والدفء .

وهذا هو ما لم يكتشفه أحد من النزلاء الآخرين .

لكنك - بفضل ذكائك - سرعان ما وجدته !

ترى ، ما الذى دفعك إلى اختياره ؟

اللـــورد : (وهو يبعد الصحيفة عن وجهه) ابنتى هى التى اختارته فهى قد أدركت تلك المزايا التى أشرت إليها ويسرنى أنك تثبتين صحة رأيها ،

مسز كارجيل : إذن فتلك هى ابنتك ، تلك الشابة الساحرة ؟

إنها ذات عطف واضح على والدها .

كنت أرقبكما فى غرفة الأكل الليلة الماضية ،

أنت اللورد كلافرتون ، الرجل الشهير ، أليس كذلك ؟

كان أحد النزلاء قد ذكر أنك ستنزل ضيفا هنا ،

وأصبح هذا محور الحديث بين الضيوف .

لم أكن أصدق أن ذلك سيحدث فعلا !

وها أنذا جالسة الآن أبادلك الحديث .

يا للغرابة ، أن نلتقى أخيرا بعد مرور كل تلك السنوات ،
ولا يمكنك حتى أن تتعرف على !
أما أنا فباستطاعتى أن أتعرف عليك فى أى مكان
لكننا نحن كثيرا ما نطالع صورتك فى الصحف
ولهذا فكل شخص يعرفك حق المعرفة ، ومع هذا فكم
كنت أود أن توجه إلىّ مثل هذه التحية وتعرف من أنا يا
ريتشارد !

اللورد : عفوا ، ماذا تقولين ؟

مسز كارجيل: ألم تعرف من أنا ؟

اللورد : آسف لعدم تمكنى من ذلك .

مسز كارجيل: كنا ثلاث فتيات : أيفى ومودى وأنا ، ذلك اليوم الذى
أمضيناه سويا على شاطىء النهر ، إنه يوم لن أنساه
مطلقا ، كان نقطة التحول فى حياتى كلها .
ترى ما هى أسماء أصدقائك أولئك ؟
ومن منهم هو الذى دعانا إلى الغداء؟
الحق أن أسماءهم قد محيت من ذاكرتى
وأنت أيضا ، كنت قد دعوتنا إلى الغداء .
لا أذكر اسم الفندق
كان غداء شهيا وبعد هذا ركبنا قاربا سار بنا فى النهر

وكانت معنا سلة بها لوازم الشاى ، فتناولنا كعكات فى منتهى اللذة

لا أذكر الاسم الذى أطلقته عليها .

ثم طلبت منى أن أقوم بالتجديف ، فابتلت كل ملابسى ، وكاد المجداف أن يسقط من يدى ، فقهقهتم كلكم ضحكا منى .

ألا تذكر ذلك ؟

اللـــورد : أرجو أن تواصلي حديثك

فكلما ذكرتنى بشىء تداعت الذكريات فى مخيلتى

مسزكارجيل: وراح ثلاثتنا يحدثكم ، إيفى ، ومودى ، وأنا ، إن ذلك يبدو كأنه حدث منذ زمن بعيد جدا ، لكننى أتذكر كل شىء بالتفصيل !

لقد أعجبت بك منذ أول لقاء لا أدرى لمَ ، ولكن هكذا شاءت الظروف .

وقلت لنفسى : «ها هو رجل يمكننى أن أتبعه حول العالم!» لكن (إيفى) - وأنت تعرف حدة ذكائها - حذرتنى قائلة : «إن فعلت ذلك ، فسوف تضحين بنفسك سدى» . وأضافت : «حذار ! ذلك الرجل سيتخلى عنك ، فهو غير جدير بثقتك ، «إنه رجل أجوف!» تلك كانت

كلمات إيفى

ترى ، هلى قالت : «رجل أجوف» أم «رجل أخرق»؟ لا أذكر بالضبط .

إنك تذكرنى الآن يا ريتشارد ، أليس كذلك؟

اللـــورد : نعم أذكرك ، وإن كنت لا أذكر ذلك الحديث الذى تشيرين إليه .

مسز كارجيل : لقد تركت يد الزمن تأثيرها علىّ يا ريتشارد ! كنت - فيما مضى - رائعة الجمال ، على حد قولك ولكن ، ما دمت تذكرنى يا ريتشارد ، هلا ناديتنى باسمى مرة ، مرة واحدة يا ريتشارد ،

ذلك الاسم الذى كنت تعرفنى به

أية نشوة تلك التى سأحسها ،

إذا فُهت باسمى مرة واحدة !

اللـــورد : كان اسمك ميزى باترسون .

مسز كارجيل: كلا ، ياريتشارد

أنت تعلم أنى أقصد اسمى المسرحى ، الاسم الذى عرفتنى به عندما التقينا

اللـــورد : ميزى مونت جوى

مسز كارجيل : نعم ! ميزى مونت جوى .

كنت أنا ميزى مونت جوى يوما ما ! ومع ذلك لم تستطع أن تعرفنى !

اللــــورد : لقد غيرت اسمك ، دون شك ، وأنا أيضا قد غيرت اسمى ، ما اسمك الآن ؟

مسز كارجيل : مسز جون كارجيل

اللــــورد : إذن فقد تزوجت منذ سنوات ؟

مسز كارجيل : نعم ، كان زواجى الأول قبل سنوات عديدة ،
لكنه لم يدم طويلا . فهناك مثل يقول :
إن أخطأت فى الحب مرة فسوف تخطىء مرة تلو المرة ،
ما أصدق هذا المثل ! كان الشاب المدعو (الجى) ضعيفا ،
لكنه كان بسيطا ،
لم يكن .. كغيره – مراوغا مكيرا .
ثم تزوجت المستر كارجيل . كان يكبرنى بعشرين سنة ،
وكان هذا ما أريد بالضبط .

اللــــورد : ألا يزال حيا يرزق ؟

مسز كارجيل : كان قلبه يعانى من الضعف ،
وكان يجهد نفسه فى العمل
ألم تسمع قط عن شركة (أجهزة كارجيل) ؟ إنها شركة تنتج أثاث المكاتب

اللـــورد : كلا لم أسمع عنها ، فلم يكن لى شأن بموضوع الأثاث ،
لكن ، لعلها كانت شركة ناجحة ،
أعنى أن تكونى قد ورثت عن زوجك ما يضمن لك عيشا رغدا ؟

مسزكارجيل: وهل كان طبيبى يجرؤ على إرسالى إلى هذه الدار للاستشفاء لو لم أكن من الأثرياء ؟!
حقا إنها لصدفة غريبة يا ريتشارد ، أن نلتقى هنا - أنت وأنا - أخيرا ،
هنا ، وليس فى مكان آخر !

اللـــورد : وماذا تعنين بهذا ؟ إنى لا أفهم لماذا تنتهزين أول فرصة تجديننى فيها هنا .
لإحياء ذكريات قديمة ، كان الأحرى بكلينا أن ندعها دفينة فى طيات الماضى .

مسزكارجيل: لقد جانبك الصواب يا ريتشارد !
كانت (إيفى) حقا فى منتهى الذكاء !
طالما قالت لى : «ريتشارد لا يفهم طبيعة النساء ، إن أية امرأة تضع ثقتها فيه ، سرعان ما تدرك الحقيقة» .
إن الرجل قد يتناسى كل النساء اللائى أحبهن أما المرأة فهى لن تنسى أى واحد ممن أعجبوا بها ، وحتى

العاشق الخادع ، لن يغيب عن ذاكرتها ، بل سيبقى كأنه شهادة على الماضى . إن الرجال يعيشون بفضل التناسى ، أما النساء فلا يعشن إلا على الذكريات .
وفضلا عن ذلك ، ليس هناك ما يجعل المرأة تشعر بالخزى ، أما الرجل فهو يحاول دائما أن ينسى سلوكه المخزى .

السلورد : ألم يدفع كل منا ما عليه من حساب ؟
أى ذنب اقترفنا ؟ لقد تعلمت أنا درسى ، كما تعلمت أنتِ درسكِ ، إن كنتِ فى حاجة إلى دروس .

مسز كارجيل : يبدو أنك لا تصدق أننى كنت مشغوفة بحبك . لكن هذا أمر طبيعى بالنسبة إليك . لكنك تظن ، أو تحمل نفسك على الظن
بأننى إن كنت قد قاسيت من الأمر فعلا ، فما كان يجدر بى أن آتى
وأعرفك بحقيقة شخصيتى ، وأحدثك عن ذلك الماضى !
لكنك مخطىء فى هذا الزعم ، فالحديث عن الماضى - ماضيك وماضىّ -
يبعث على السرور بقدر ما يبعث على الألم . قد تكون تلك الذكريات مؤلمة ، لكنى أعتز بها .

اللـــورد : إن كان قلبك فعلا قد تحطم وانكسر فلماذا إذن أقدمت على فعل ما فعلت ؟

مسزكارجيل : ومن ذا الذى يعرف أن القلب قد انكسر إن كان قد رئب صدعه ؟ ولكنى أعى ما تقصده . إنك تقصد أننى لو كنت حقيقة أكن لك أى مودة ما كنت أقدمت على مقاضاتك لإخلالك بالوعد . يا له من هراء عاطفى ! إن المرء يقيم الدعوى لمجرد شعوره بضرورة اتخاذ أى إجراء .

ربما لم يكن ينبغى أن أقبل فض الخلاف بالتسوية خارج المحكمة ، لكن المحامى قال لى : إنى أنصحك بالقبول ، لأن المستر فيرى سيرشح نفسه للبرلمان وقد علق أبوه عليه آمالا كبارا فى ميدان السياسة ، وإذا حدث أن خسر دعوى الإخلال بالوعد سيتردد بعض الناس فى تأييده ، وأضاف المحامى قائلا : « إن المبلغ الذى عرضه محاموه لفض الخلاف هو فى اعتقادى ضعف المبلغ الذى قد تحكم به المحكمة لصالحك» .

أما صديقتى (إيفى) فكانت تعارض فكرة التصالح ، وتفضل فضيحتك .

لكننى تنازلت ، ولم أشأ أن أقضى على مستقبلك إذا أنا

مضيت فى الدعوى ،

وفى تلك الحـالة كـان من الممكن ألا تصـبح اللورد كلافرتون .

وهكذا يعود لى الفضل فى إرساء قاعدة مجدك .

اللـورد : وأيضا فى ضمان رفاهيتك فى نفس الوقت .

إنى لأذكر أن ذلك حدث قبل عام أو عامين من بدء ظهور اسمك مكتوبا بأحرف ضخمة على واجهات المسارح بحى شافتسبيرى .

مسز كارجيل : نعم كان لى نشاطى الفنى

ألا تذكر النجاح الذى أحرزته أغنيتى الشائعة «لم يمض بعد أوان حبك لى»

ولولا ما قاسيته ما استطعت أن أنجح فى التعبير عن أحاسيسى كما فعلت فى تلك الأغنية .

هل استمعت لى وأنا أغنيها ؟

اللـورد : نعم ، سمعتك تغنينها

مسز كارجيل : وماذا كان شعورك ؟

اللـورد : لاشىء على الإطلاق . وأذكر أننى دهشت لانعدام أى رد فعل لدى .

وقلت : إن لحسن حظى وحظك أننا لم نرتبط كلانا

بالآخر .

مسز كارجيل: بل يخيل إلى يا ريتشارد أنك لم تفكر إلا فى حسن حظك وحدك !

ألم تشعر بأى حرج ؟

اللورد: وما الداعى للشعور بحرج ؟ كان ضميرى مرتاحا .

كان ما بينى وبينك مجرد افتتان عابر ،

انتهى بالحل الوحيد الذى يحقق رضاء الطرفين .

مسز كارجيل: تقول : كان ضميرك مرتاحا !

يندر أن أسمع الناس يتحدثون عن ضمائرهم إلا ليقولوا إنها مرتاحة

لقد تخلصت من المأزق مقابل دفع مبلغ كبير ، ودون أي فضيحة .

وكان ضميرك مرتاحا

أعتقد أنك لا تزال ، في قرارة نفسك ، كما كنت دائما ذلك الشاب الأحمق ريتشارد ، عندما أردت أن تبدو كأنك رجل واسع الخبرة .

والآن ، أعتقد أنك تريد أن تبدو رجل دولة خبير ومحنك .

غير أن الفرق بين رجل الدولة الخبير حقا ، وذلك الذى يدعى أنه كذلك إنما هو فرق طفيف .

وكنت دائما تنجح فى كل دور تقوم به .

الـــلـــــورد : لم يعد هناك دور أقوم به يا ميزى .

مسزكارجيل : بل ستظل تلعب دورا ما إلى النهاية
ستلعب دورا حتى فى نعى وفاتك ، بغض النظر عمن
سيكتب ذلك النعى .

الـــلـــــورد : على الرغم من مرور سنوات عديدة على معرفتك لى
ورغم قصر فترة تلك المعرفة ، فإنى مندهش
لتلك الثقة التى تبدينها فى تفهمك لشخصيتى .

مسزكارجيل : لقد تتبعت نشاطك سنة بسنة يا ريتشارد .
وصحيح أن علاقتنا كانت وجيزة
إلا أنها ، فى رأيى ، كانت بالغة العمق
بحيث استطعت أن أتبين بعض مظاهر شخصيتك .
كلا يا ريتشارد ! لا تتخيل أنى مازلت أحبك
ولا داعى لأن تتخيل أنى أمجد ذكراك
كل ما فى الأمر هو أننى أشعر أن بينى وبينك شيئا ما
أرجو ألا يزعجك كلامى . لقد لمست بأصبعك كيانى ، بل
إنك قد نهشته نهشا ، وما زال الجرح فاغرا !
وأنا أيضا أشعر أنى قد لمست مشاعرك ، ومما يبعث
على الرعب ذلك الشعور بأننا لا نزال معا ويبعث على

الهلع أننا سنظل على الدوام معا . إنى أذكر عبارة قرأتها فى كتاب : «لن تخمد نيرانهما قط!» أتدرى ما الذى أفعله كل ليلة ؟ إنى أقرأ رسائلك لى .

اللـــورد : رسائلى ؟

مسز كارجيل: أنسيت أنك كتبت لى عدة رسائل ؟

لم تكن بالكثيرة ، لكن بعضها يستحق الحفظ ،

رسائل معدودة ، لكن ما أجملها !

كانت (إيفى) هى التى قالت عندما تمت القطيعة بينى وبينك :

«هذه الرسائل تعادل ثروة طائلة ياميزى».

وكان من الممكن تقديمها أثناء المحاكمة ، لو كانت هناك محاكمة .

ألا تذكر رسائلك لى ؟

اللـــورد : لا أذكر بالضبط هل كانت رسائل عاطفية ؟

مسز كارجيل: كانت تفيض بالحب . أتريد أن تقرأها ؟

يؤسفنى أنى لا أستطيع إعطاءك الرسائل الأصلية فهى محفوظة فى خزانة المحامى ، لكن لدى نسخ منها ، نسخ طبق الأصل ، يطيب لى أن أقرأها وأتأمل خط يدك .

اللـــورد : وهل أطلعت كثيرين على تلك الرسائل ؟

مسز كارجيل: لم أطلع إلا بضع صديقات عليها .
وقالت (إيفى): «إذا قدر له أن يصبح رجلا مشهورا ،
وكنت فى ضائقة مالية ، يمكنك أن تعرضى تلك الرسائل
للبيع فى مزاد علنى ،
سأحضر نسخة من تلك الرسائل صباح الغد ، وأتلوها
عليك .
.. ها هى مسز بيجوت قادمة لتنقض علينا .
ما أفظعها ! إنها لا تكف عن الثرثرة ؟ أتتحملها ؟
إذا أنا انصرفت الآن ،فربما تفهم الإشارة ،
وتتركنا وشأننا غدا !
طاب صباحك يا مسز بيجوت ! أليس صباحا رائعا ؟

(تدخل مسز بيجوت)

مسز بيجوت: صباح الخير يا مسز كارجيل .

مسز كارجيل: يا عزيزتى مسز بيجوت ، يبدو أنك لا تهدئين قط ، بل
تضحين بنفسك من أجلنا .

مسز بيجوت: هذا هو أهم شىء فى حياتى ، أن أعتنى بضيوفى ،
ويسعدنى أنهم يحتاجون إلىّ حقا .

مسز كارجيل: إنك تحسنين رعايتنا يا مسز بيجوت
فأنت فى غاية العطف والإشفاق

مسز بيجوت : وينبغى لى أن أقوم بتقديم أحدكما للآخر :
أنت تتحدثين مع اللورد كلافرتون ،
اللورد كلافرتون الشهير ،
وهذه هى مسز كارجيل .
أنتما ضيفان من خيرة ضيوفنا .
لقد خطر لى أن أجيء للاطمئنان على راحة اللورد
كلافرتون
وألا نجعله يرهق نفسه بالحديث
فهو فى مسيس الحاجة إلى الراحة !
هل كنت تتأهبين للانصراف؟

مسز كارجيل : إنى أعلم أن اللورد كلافرتون قد جاء من أجل الراحة والاستجمام ، وخطر لى أنه قد يضيق بوجود كلتينا معه فى نفس الوقت .
هذا إلى جانب أننى أريد أن أؤدى تدريب التنفس .

(تخرج)

مسز بيجوت : الواقع أننى جئت على عجل لإنقاذك ، بمجرد أن رأيت مسز كارجيل قد استحوذت عليك ، ولهذا أحضرت بنفسى شراب الصباح .
بدلا من ترك الأمور كالمعتاد للمرضة .

أنك لا تعرف شيئا عن مسز كارجيل ،
لكنك ربما تذكر امرأة تدعى ميزى مونت جوى ، كانت
تظهر فى استعراض غنائى ،
كانت معروفة قبل سنوات ، لكن الجيل الجديد لا يعرف
عنها شيئا ،
ولكن أمثالنا يا لورد كلافرتون لابد أنهم يذكرونها .
كانت تغنى أغنية : «لم يمض بعد أوان حبك لى» ، وكانت
هذه الاغنية شائعة على ألسنة الناس فى ذلك العصر .
لا أنكر أنها امرأة جميلة ، لكنها ليست من مقامنا أنا
وأنت .
وقد أحسست أنها تريد لقاءك ، ولهذا فإننى قد تحينت
أول فرصة لأنبهها - فى شىء من الكياسة طبعا - إلى
أنه لا ينبغى لأحد أن يزعجك ،
ولحسن الحظ أنها انصرفت . ولكن إذا حدث أن عادت
إلى مضايقتك
فما عليك إلا أن تخبرنى .. تلك .. للأسف - هى
الضريبة التى يدفعها ذوو الشهرة .

(تدخل مونيكا)

أهلا بك يا آنسة كلافرتون فيرى

لم أتنبه إلى مجيئك ؛ يجب على أن أنطلق

(تخرج)

مـــونيكا : شاهدت مسز بيجوت وهى تعكر صفو هدوئك
فأسرعت إلى الحضور لإنقاذك . يبدو أنك متعب يا
والدى كان الأحرى بها أن تتركك وشأنك بيد أننى أحمل
إليك خبرا ..
قد يزعجك قليلا ،

اللـــورد : حقا !؟ ماذا حدث ؟

مـــونيكا : لم أكد أخطو بضع خطوات حتى التقيت بمايكل ، وهو
يصر على لقائك .
يبدو أن أمرا غير سار قد دفعه إلى الحضور .

اللـــورد : هل كان يقود سيارته عندما التقيت به ؟

مـــونيكا كلا ! كان يسير على قدميه .

اللـــورد : أرجو ألا يكون قد ارتكب حادثا آخر ، إذا إننى
بعد الحادث الأخير الذى نجا منه بأعجوبة
أعيش فى حالة رعب شديد خوفا من أن يدوس شخصا
آخر .

مـــونيكا : وما الداعى لأن تخشى أمرا كهذا ؟
هذا دليل على أن أعصابك مرهقة .

أنت تعلم أنه لم يصطدم إلا بشجرة .

اللـــــورد : نعم ، شجرة ، لكنه كان من الممكن أن يصطدم بإنسان .

على كل حال ، لم يحدث هذا بعد ، وإلا ما كان يستطيع السفر والحضور .

ربما يكون قد اختلف مع إحدى النساء ،

فإنى متأكد أنه على علاقة ببعض صديقات لا يود أن نعرف نحن شيئا عنهن .

مـــونيكا : ربما يكون قد جاء ليطلب منك بعض المال

اللـــــورد : إذا اقتصر الأمر على كونه مدينا فلن أبخل عليه بالمساعدة ، لكن أين هو ؟

مـــونيكا : طلبت منه أن ينتظر فى الحديقة ريثما أمهد الطريق للقائكما .

وقد أفهمته أن الأطباء يشيرون بأن تتجنب كل ما قد يزعجك

إنه لن يحتد أو يثور ، ولكن يبدو عليه الخوف

والاضطراب . وأنت تعرف كيف يتصرف مايكل عندما يكون مضطربا

إذ يتجهم وجهه ، ويصبح سريع الاهتياج

لهذا أرجو أن تتحلى بالصبر .

اللـورد : إذن دعيه يحضر ، ولنفرغ من أمره .

مونيكا : (تنادى) مايكل !

(يدخل مايكل)

اللـورد : صباح الخير يا مايكل .

مايكل : صباح الخير يا أبى . (يصمت برهة)
الطقس اليوم جميل !
ويسرنى أنك أتيت إلى هنا للاستمتاع بهذا الطقس .

اللـورد : يسرك أننى هناك ، هل جئت بالسيارة من لندن ؟

مايكل : نعم جئت الليلة الماضية ، وأقيم فى إحدى الحانات على بعد ميلين من هنا . مكان مناسب إلى حد ما

اللـورد : وما الداعى إلى هذا ؟ لم أكن أتوقع أن تكون الحانة مكانا مناسبا لقضاء عطلتك .

مايكل : لكنى لم أجىء لقضاء عطلة .
إلا أن هذا الفندق معروف بتقديم أطباق شهية ،
كما أنه ليس غاليا على الإطلاق .

اللـورد : ليس من عادتك أن تهتم بالإقامة فى فنادق رخيصة .
هل ستقيم هنا طويلا ، طوال عطلتك ؟

مايكل : إنها ليست عطلة على وجه الدقة .
ألم أقل ذلك ؟

مونيكا : أرجو أن تكفا عن التمسك بالرسميات .
يا مايكل : إنك جئت لكى تطلب شيئا من والدنا .
وهو يعرف أيضا أنك تريد منه شئا .
ربما يكون من الأفضل أن أترككما لتتحدثا بصراحة .
(تخرج)

مايكل : الواقع أنه من الصعب أن يشرح أحد لك شيئا
فأنت دائما تصر على أننى الملوم قبل أن تعرف الحقائق .
إن أول شىء أحتفظ به فى ذاكرتى هو لومك لى على ما
لم أرتكبه ، وهو شىء لم أستطع أن أتناساه . وإذا لم
يكن هنا إلا اللوم والتأنيب ،
فمن الطبيعى أن يرتكب الفرد أخطاء عن غير قصد .

اللورد : لقد شرعت فى الوقوع فى المشاكل منذ صباك
عندما طردوك من المدرسة بسبب السرقة .
لكن ، لنعد إلى موضوعنا . ها أنت الآن فى ورطة ثانية
دعنا نتجنب مسألة توجيه اللوم - إذا سمحت -
حتى نوفر عليك ضرورة لوم شخص آخر .
فقط أخبرنى ما حدث .

مايكل : لقد طُردت من وظيفتى

اللورد : من الوظيفة التى هيأها لك السير ألفريد والتر ؟

مـــايكـل : لقد تحملتها سنتين ، وكنت فى غاية الملل منها

الــلــورد : إن كل عمل قد يبعث الملل تسعة أعشار الوقت ..

مـــايكـل : أريد عملا أكثر إمتاعا .

الــلــورد : ماذا تعنى ؟

مـــايكـل : أريد أن أجد عملا يتيح مجالا أكبر للمضاربات التجارية

الــلــورد : ولكنك قمت بشىء من المضاربات الخاصة .

مـــايكـل : قدم لى عديد من أصدقائى بعض المعلومات الممتازة
ولكنها باءت بالفشل – تلك التى لم اتبعها .

الــلــورد : وماذا حدث لتلك التى أتبعتها ؟

مـــايكـل : لم تنجح لسبب أو لآخر .
والواقع أنى كنت أحتاج إلى رأسمال أكبر ، ولهذا فلو
كنت قد اقترضت مبلغا أكبر ،
ربما كنت أسعد حظا .

الــلــورد : أقترضت ؟ ممن ؟
ليس .. من الشركة ؟

مـــايكـل : ذهبت إلى أحد المرابين
رجل زكاه لى أحد أصدقائى
وعرض على شروطا مغرية بفضل اسمى العائلى ، وتلك
كانت الفائدة الوحيدة التى جلبها على هذا الاسم .

اللورد : وما تلك الشروط المغرية التى حصلت عليها بسبب اسمك ؟

مايكل : ألا أرد من المبلغ شيئا لمدة سنتين ؛
إذ إن الفائدة تضاف إلى رأس المال .

اللورد : ومتى حدث ذلك ؟

مايكل : منذ عامين تقريبا
ما أسرع مرور الزمن عندما يكون المرء مدينا !

اللورد : وهل عليك ديون أخرى ؟

مايكل : ديون عادية . مثل حساب الخياط

اللورد : هذا ما كنت أخشاه
تماما كما حدث أثناء دراستك فى أوكسفورد

مايكل : إن عليهم تبعة ما حدث ؛ إذ إنهم لا يرسلون فاتورة الحساب ، مما يجعلنى أنساها . إن ما يوقعنى فى الديون هو كونى ابنك ، ولهذا يصرون على إقراضى لمجرد أننى أحمل اسمك .

اللورد : وهل تلك الديون هى سبب طردك من الوظيفة ؟

مايكل : أحد الأسباب . فقد سمع السير ألفريد بما حدث وتظاهر بأنه قد صُدم بما سمع .
وقال إنه لا يقبل أن يكون أحد موظفيه مقامرا ، وصفنى

بأننى مقامر ! وقال إنه سيحادثك فى الأمر .

اللـــورد : وهذا هو ما دعاك إلى الإسراع بالحضور لكى تشرح لى ما حدث ومن جهة نظرك أولا وهى بلا شك تختلف عن وجهة نظر السير ألفريد ، وماذا قال بخلاف هذا ؟

مـــايكل : اتخذ نفس الموقف ، كما كان يفعل ناظر المدرسة ، وبعده الاستاذ الذى أشرف على دراستى في أوكسفورد ، إذ قال : هذا ما لم نكن نتوقع حدوثه من ابن أبيك . وكلاما آخر من هذا القبيل . ثم ذكر أنه ، إكراما لك أنت ، سيتكتم الأمر .

أؤكد لك أنه ليس من السهل أن يكون الفرد ابنا لرجل سياسى شهير .

إنك لا تدرك مدى ما قاسيت وأنا أشغل تلك الوظيفة ، فأولا : كل زملائى كانوا يعرفون أن الوظيفة خلقت لأجلى ، وهذا لأننى ابنك ،

وكانوا يعرفون أن راتبى لم يكن كافيا لى

وطالما تهكموا على .

فى حين أننى لم أكن أعمل شيئا . وحتى صغار السعاة بالمكتب يسخرون منى .

لا أدرى كيف استطعت أن أتحمل ذلك طول هذا الوقت !

المـــــــورد : وهل هذا هو كل ما فى قائمة نقاط ضعفك ؟
أم أن السير ألفريد وجه لك انتقادات قاسية أخرى ؟

مـــــايكل" : كانت هناك نقطة أخرى أثارها ضدى ؛
إذ اتهمنى بأننى شديد التقرب إلى إحدى الفتيات ، وأن
الأمر قد تطور إلى أبعد مما حدث فى الواقع .

المـــــــورد : ربما يكون قد تطور فعلا إلى أبعد مما تود الاعتراف به

مـــــايكل : على كل حال ، كانت هى الوحيدة التى عاملتنى بلطف ومودة
لم تكن فتاة مثيرة لكنها ساعدت على تزجية الوقت ، وما
كان هذا ليحدث ، لو أن العمل نفسه كان شيقا محببا
للنفس .

المـــــــورد : وما الذى تعتزم الآن أن تفعل ؟

مـــــايكل : أريد السفر إلى الخارج

المـــــــورد : السفر إلى الخارج ؟ هذه فكرة طيبة
فلو أنك قضيت بضع سنوات فى الخارج ، فى إحدى
المستعمرات مثلا .
ربما استطعت أن تكون أكثر اعتمادا على نفسك ، إنى
على صلة بأناس كثيرين ، أو على الأقل أراسل كثيرين
فى معظم البلاد .

ففى أستراليا – لكن كل من أعرفهم هناك يعيشون في المدن .

وقد تكون المعيشة فى الهواء الطلق مناسبة لك .

ما قولك في الذهاب إلى غرب كندا ؟

أو العمل فى تربية الأغنام فى نيوزيلندا ؟

مايكل : تربية الاغنام ؟ يا للهول ! كلا !

ليس هذا ما أفكر فيه . إنى أريد أن أكون ثروة .

أريد أن أسعى لتكوين شخصيتي بمجهودى الخاص .

اللورد : ماذا تريد أن تفعل إذن ؟ أين تريد أن تذهب ؟

ما أسلوب الحياة الذى تظن أنه يناسبك ؟

مايكل : أريد أن أعيش حياتى وفق هواى .

طبقا لما أعتقد أنه صالح أو طالح

مصيب أو مخطىء ، أريد أن أرحل بعيدا

إلى بلد لم يسمع فيه أحد عن اسم كلافرتون .

وإن حدث أن اتخذت لنفسى اسما آخر – وقد أفضل ذلك فلا أريد أن يهتم أحد باسمى السابق .

اللورد : إذن فأنت على استعداد لإنكار أسرتك .

وللتنازل عن كل إرثك ؟

مايكل : وماذا عساى أن أرث ؟ أما عن لقبك

فأنا أعرف لماذا اتخذته ، وكانت أمى أيضا تعرف

أولا ، لأنه أتاح لك فرصة اعتزال السياسة مع الاحتفاظ

بكرامتك ، عندما لم يعودوا فى حاجة إليك .

كما أنك أردت أن تصبح اللورد كلافرتون ،

وأن تحتفظ بمركز عالٍ أمام أسرة أمى ،

بل أن تتغطرس عليهم

ولا جدال فى أن فكرة إعطاء الاسم واللقب إلى الابن

كانت فكرة ممتعة

لكنك لا تفعل هذا كخدمة شخصية لى . فما أنا إلا ابن

لك ، أى مجرد امتداد لوجودك أنت ،

كمندوب لك يمارس العمل فى غيابك

وما الذى يجعلنى مدينا لك بالشكر من أجل شىء

فرضته على فرضا ؟

وترى ، أى شعور بالرضى ذلك الذى ستحس به وأنت

فى القبر ؟

وأراهنك أنك إذا كنت لا تزال تشعر بأى إحساس بعد

موتك فهو مجرد الشعور بالدهشة . مسكين ذلك الشبح

الذى سيشغل نفسه بحساب الأرباح والخسائر ،

ويعجب لاهتمامه بمثل تلك الترهات .

اللورد : إذن فأنت تريدنى أن أساعدك على التخلص من أبيك ؟

مايكل : وأساعد أبى على التخلص منى .

إنك لا تدرى كم ستسعد بحياتك بمجرد أن أهجر البلاد

إنى أسعى إلى فرصة للسفر والعمل فى الخارج

كشريك فى نشاط تجاري شيق

إلا أنه يلزمنى مبلغ بمثابة رأس مال .

اللورد : وما نوع هذا العمل الذى تفكر فيه ؟

مايكل : لست أدرى . ربما عمليات الاستيراد والتصدير

التى تدر الربح فى كلتا الحالتين

اللورد : هذا ما سأفعل من أجلك يا مايكل

سأعينك على بدء أى مشروع تجارى تختاره لنفسك ،

وذلك إذا وجدت – بعد بحث وتدقيق – أنه عمل مناسب

ومقبول .

مايكل : على أية حال ، لقد اعتزمت مغادرة إنجلترا

اللورد : مايكل ! هل هناك أسباب أخرى لهذا عدا ما ذكرت لى ؟

أرجو ألا يكون فى الأمر جريمة قتل عن غير قصد ؟

مايكل : قتل ؟ جريمة قتل عن غير قصد ؟

هل تعنى أننى دُست أحدا فى الطريق ؟

كلا ! إننى الآن سائق فى غاية المهارة .

اللورد : ماذا فى الأمر إذن ؟ هل هو بسبب تلك الفتاة ؟

مايكل : لست أحمق إلى درجة أن أدخل فى نزاع مع فتاة نتيجة إخلال بوعد ، أو مشكلة طلاقٍ . كلا ! لا تقلق نفسك بشأن تلك الفتاة أو غيرها .

إنى أود الخروج من إنجلترا ، فقد سئمت الحياة فيها .

اللورد : إنك بالتأكيد لا تعنى هذا ، لكنه أمر طبيعى أن يقضى المرء بضع سنوات فى الخارج .

وقد يفيدك هذا فى الاعتماد على نفسك ، لكن أرجو أن يكون الدافع لذلك هو الطموح الشخصى لا مجرد الرغبة فى الهرب والفرار .

مايكل : لست هاربا ولا فارا .

اللورد : لا أقصد الهروب من العدالة ،

بل الهروب من الحقيقة .

لو أنك يا مايكل كنت تسعى نحو مجد مؤثل وتريد تحقيق حلم كبير ، لساعدتك بكل سرور حتى ولو أدى ذلك إلى معيشتك بعيدا عنى إلى الأبد ، تقاسى حرارة الشمس الملتهبة فى المناطق الحارة ، أو ترتعش من البرد فى الليالى القطبية .

صدقنى يا مايكل ، إن من يهربون من ماضيهم

يخسرون السباق دائما ،
إنى أعرف هذا من خبرتى . فعندما تصل إلى ما تبتغى ،
إلى جنة وهمية من النجاح والمجد ،
ستجد أن تجاربك الفاشلة الماضية قابعة فى انتظارك !
ليس لى أحد أعيش من أجله سواك يا مايكل ،
أنت ومونيكا . ولو قدر لى أن أعيش عشرين عاما ..
وأنا أعرف أن ابنى قد لعب دور الجبان .
فلن تكون إلا عشرين عاما من الموت والفناء .

مايكل : إن كان يحلو لك أن تسمينى جبانا ، فليكن .
ترى ، لو كنت فى مكانى ، هل كنت تلعب دور البطل ؟
لا أظن ذلك .
إنك لم ترزح تحت عبء العائق الذى قاسيته أنا .
نعم كان أبوك غنيا ، لكنه لم يكن مرموقا فى المجتمع ،
ولهذا لم تكن مضطرا إلى التزام سلوك معين .
أما عن معايير السلوك التى طالما أشرت بها من أجل مصلحتى
ترى هل راعيت أنت الالتزام بها دائما فى حياتك ؟

(تدخل مونيكا دون أن يراها أحد)

مونيكا : يا مايكل ! كيف تتحدث إلى والدك بهذ الأسلوب ؟

ماذا حدث يا أبى ؟ لماذا يبدو عليك الغضب ؟

لا بد أن مايكل فى ورطة شديدة

أفلا تستطيع مساعدته ؟

اللورد : إنى أحاول مساعدته . والتوصل إلى حل وسط يرضى كلينا ،

وقدمت له عرضا ينبغى عليه أن يفكر فيه مليا .

لكنه إذا فضل الذهاب إلى الخارج ، فإنى أريد أن يلزم أسلوبا يختلف كل الاختلاف عن ذلك الأسلوب الذي يلتزمه الآن .

مونيكا : مايكل ! قل شيئا !

مايكل : وماذا عساى أن أقول ؟

إنى أريد أن أغادر إنجلترا ، وأن أبنى نفسى بنفسى ،

لكن أبى لا يرى فى هذا إلا جبنا وهروبا

مونيكا : أبى ، أنت تعلم أننى لن أتردد فى بذل حياتى من أجلك ،

وقد تبدو كلماتى هذه محض هراء . لكن أين هى الكلمات التى تعبر عن حب يشمل الأسرة كلها ، حب يظلها دون أن تراه ،

حب يرى فى ضوئه كل شيء ، حب يتخذ منه كل حب آخر وصفا وتعبيرا ؟

إنه الحب الصامت . وماذا عساى أن أقول لكما ؟
مهما كان سلوك مايكل ، يا أبتاه ،
ومهما كانت كلمات أبينا ، يا مايكل
ينبغي أن يغفر كل منكما للآخر ، وأن يبادله المحبة .

مـــــايكـل : وهل كنت أتردد فى حب الوالد ، لو كان يريد الحب ؟
لكن لم يكن مطلقا فى حاجة إلى حبى ، يا مونيكا . أما
أنت فتعرفين مدى شغفى بك دائما ،
فطبيعتى فى الواقع ، تنزع نحو العطف والمودة ولكن ..

(تدخل مسز كارجيل وهى تحمل صندوق أوراق)

مسز كارجيل : ريتشارد ! لم أكن أظن أنك لا تزال هنا .
لقد عدت لكى أتمتع بقراءة رسائلك في هدوء
وما أجمل أن أجد هنا شملا عائليا
أعرف من أنت . أنت مونيكا طبعا !
ولا بد أن هذا هو أخوك مايكل . أليس كذلك ؟

مـــــايكـل : نعم هذا صحيح ، لكن ...

مسز كارجيل : تريد أن تسألنى كيف عرفت ذلك ؟
لأنك شديد الشبه بأبيك عندما كان فى سنك ،
إنه صورة طبق الأصل ياريتشارد ، كما كنت تبدو فيما
مضى

لا داعى لأن تتولى تقديمنا ، فسأقدم نفسى .
أنا (ميزى مونت جوى)
وهذا الاسم لا يعنى شيئا لكما يا عزيزى
فقد مرت سنوات عديدة منذ كان اسم ميزى مونت جوى
يتصدر قائمة الاستعراضات المسرحية .
أما اسمى الآن فهو مسز جون كارجيل .
ريتشارد ! من المدهش أن مونيكا تكاد لا تشبهك فى
شيء ولكن يا مايكل ، لشد ما تغير والدك منذ كنت
أعرفه قبل سنوات .
إنك صورة مطابقة له فى تلك الأيام الخوالى
كان أبوك – ذات يوم – من أعز أصدقائى .

مايكل : وهل كان حقا يشبهنى ؟

مسز كارجيل : إن صوتك هو صوته ، وحركاتك حركاته ، يا للعجب
والملامح الجذابة ! لقد ورث كل جاذبيتك يا ريتشارد وهو
أمر لا يمكن إنكاره . لكن ،
من ذلك الشخص القادم نحونا ؟
إنه ضيف آخر من ضيوف الدار . ها هو يلوح بيده لنا .
أتعرفه يا ريتشارد ؟

اللورد : إنه أحد معارفى القدماء

مسز كارجيل: ياللغرابة ! إن قوامه رشيق ، وملامحه غريبة .
هل هو أجنبى ؟

اللـــــورد : إنه ينتمى إلى أمريكا الوسطى

مسز كارجيل: يا له من رومانتيكى ! إنى أود التعرف عليه . ها هو يقبل نحونا للحديث . لا بد أن تقدمه لى

(يدخل غوميز)

غـــومـــيـــز : صباح الخير يا دِك !

اللـــــورد : صباح الخير يا فريد .

غـــومـــيـــز : لم تكن تتوقع أن ترانى هنا !
أعرف أنك أتيت للاستشفاء هنا ، فأقنعت طبيبى بحاجتى للاستشفاء أيضا .
وعندما سمعت أنك اخترت المجىء إلى دار (بادجلى كورت) .
قلت لطبيبى ، «ولِمَ لا أذهب أنا أيضا إليها؟»
فوافق على ذلك .

مسز كارجيل: إذن فقد تقابلتما حديثا ؟
ريتشارد ، هلا تكرمت بتقديمنا ؟

اللـــــورد : هذا هو

غـــومـــيـــز : صديقك القديم فردريكو غوميز ،

المواطن المعروف فى سان ماركو

هذا هو اسمى .

اللـــــورد : دعنى إذن أقدمك بهذا الاسم إلى السيدة .. مسز

مسز كارجيل : مسز جون كارجييل

غــومــيــز : لم تعد ذاكرتنا تعى أسماء الكنية يا دك !

مسز كارجيل : الذى حدث يا سنيور غوميز ، أننا عندما تقابلنا لأول

مرة .. اللورد كلافرتون وأنا ..

كنت مشهورة باسمى المسرحى .

فمنذ سنوات كان كل شخص فى لندن

يعرف اسم (ميزى مونت جوى) نجمة الاستعراضات

غــومــيــز : إذا كانت (ميزى مونت جوى) على هذه الدرجة من

الجمال الذى تتمتع به مسز كارجيل ،

فلا شك أنها كانت نجمة مسرحية ناجحة .

مسز كارجيل : ألم تشاهدنى مطلقا يا سنيور غوميز ؟

هذا شىء يدعو للأسف .

غــومــيــز : لقد فقدت صلتى بالحياة فى إنجلترا

ولو كنت لا أزال أقيم بلندن ، مثل دك

لأصبحت أشد المعجبين المتيمين

مسز كارجيل : «لم يمض بعد أوان حبك لى»

هذه هى الأغنية التى جلبت شهرتى يا سنيور غوميز

غـومـيـز : لن يمضـى الأوان مطلقا ! أليس كذلك يا دك ؟

وهذه الآنسة ، أعتقد أنها ابنتك ؟

وهل هذا هو ابنك ؟

الـلـورد : ابنى مايكل ، وابنتى مونيكا

مـونيكا : أهلا بك . هذا هو مايكل

مـايكل : أهلا بك

مسز كارجيل : لا أظـن أنك تعرف اللورد كلافـرتون منذ فـترة طويلة يا سنيور غوميز ؟

غـومـيـز : يا سيدتى العزيزة أنت لم تبلغى بعد من السن ما يسمح لك بمعرفة (دك فيرى) مدة طويلة مثلى ،

إذ ترجع صداقتنا إلى أيام الدراسة فى أوكسفورد

مسز كارجيل : إذن فأنت أيضا درست فى أوكسفورد ؟

لعل هذا هو سر إتقانك الحديث بالإنجليزية .

إن ملامح وجهك تدل على أنك إسبانى

غـومـيـز : إنى أميل إلى الإسبانيين ، وإلى طباعهم الأرستقراطية

ولكن يدهشنى أننا لم نلتق قبل الآن !

مسز كارجيل : تقول إنك كنت صديقا لريتشارد فى أوكسفورد .

وقد ربطتنى صداقة قوية بريتشارد بعد ذلك بقليل .

أليس كذلك يا ريتشارد ؟

غــومــيــز ربما كان ذلك بعد مغادرتى لإنجلترا

مسزكارجيل: هذا هو السبب إذن .

وبعد أوكسفورد ، أظن أنك عدت إلى موطنك الأصلى ؟

غــومــيــز : جمهورية سان ماركو .

مسزكارجيل: عدت إلى سان ماركو .

يا سنيور غوميز : إن كنت حقا ستقيم أياما فى دار (بادجلى كورت) فإنى أحذرك : سأقوم باستجوابك ، وسـوف تحكى لى كل مـا تعـرف عن ريتـشـارد أثناء دراسته فى أوكسفورد .

غــومــيــز : بشرط واحد : هو أن تحكى لى كل ما تعرفين عن (دِك) منذ أن التقيت به .

مسزكارجيل : (تربت بيدها على صندوق الرسائل)

سأبادلك سرا بسر يا سنيور غوميز

ولتكشف أنت أوراقك أولا .

مـــونيكا : والدى ! أعتـقـد أنه قد إن لك تأخذ قسطا من الراحة ينبغي عليّ أن أوضح لكم أن الأطباء يصرون بشدة على ضرورة أن ينال والدى قسطا من الراحة والهدوء قبل كل وجبة من وجبات اليوم .

اللــــورد : ولكن يجب أن أنهى حديثى مع مايكل ،
وليكن ذلك بعد الظهر يا مايكل .

مـــونيكا : كلا ! لقد تحادثتما بما فيه الكفاية اليوم .
يا مايكل : حيث إنك تقيم فى فندق قريب
هل تستطيع العودة فى الصباح بعد الإفطار ؟

اللــــورد : نعم ، تعال غذا صباحا .

مـــايكل : حسنا ! غذا صباحا .

مسز كارجيل : هل تقيم بمكان قريب يا مايكل ؟
يبدو لى أمرا طبيعيا أن أخاطبك باسمك الأول ؛ حيث
إن أباك من أعز أصدقائى ألديك مانع ؟

مـــايكل : كلا ! لا مانع لدى .
أقيم فى فندق جورج ، وهو لا يبعد كثيرا عن هنا .

مسز كارجيل : إذن فلأمش قليلا معك .

مـــايكل : إن هذا من دواعى سرورى

غـومـيـز : هل أنت الآن فى عطلة ؟ وهل تعمل فى لندن ؟

مـــايكل : لا ، لست فى عطلة ، ولكنى كنت أعمل فى لندن ،
وأفكر في مغادرتها إلى الخارج .

مسز كارجيل : لابد أن تخبرنى بكل شىء ،
فقد أقدم لك بعض المشورة .

سنتركك الآن يا ريتشارد . إلى اللقاء يا مونيكا

ويا سنيور غوميز . سأطالبك بتنفيذ وعدك

(يخرج مايكل ومسز كارجيل)

غوميز : ينبغى لنا يا (دك) أن نطيع أوامر الأطباء .

ولكن فلننتهز فرصة تواجدنا هنا

لنتبادل الأحاديث عن أيامنا الخوالى ، إلى القاء .

(يخرج غوميز)

مونيكا : أبى ! ما أفظع هذين الشخصين ! يجب ألا تبقى هنا .

أريدك أن تهرب منهما

اللورد : إن ما أريد أهرب منه هو نفسى ، هو ماضىّ .

ولكن ، كم أنا جبان ؛ إذ أتحدث عن الهروب ، وكم أنا منافق !

منذ دقائق كنت أستعطف مايكل ألا يحاول الهروب من سقطاته الماضية .

ونصحته بأننى أتحدث من واقع خبرتى !

ترى هل أنا أعى معنى الدرس الذى أريد أن ألقنه إياه ؟

تعالى يا مونيكا ! لقد قررت أن أبدأ من جديد ،

سنذهب ، أنا ومايكل ، إلى المدرسة سويا .

وسنجلس جنبا إلى جنب ، كل منا أمام قمطر صغير .

نقاسى نفس الهوان ، على يد المعلم نفسه .

ولكن ، ترى ، هل أمامى متسع من الوقت ؟

إن الفرصة ، بالنسبة له ، لاتزال سانحة .

ولكن ، هل فات الأوان بالنسبة لى يا مونيكا ؟

الفصل الثالث

المكان : كما فى الفصل الثانى .

الزمان : ساعة متأخرة من بعد ظهر اليوم التالى .

مونيكا تجلس بمفردها . يدخل تشارلز

تشارلز : ها أنذا يا مونيكا .
أرجو أن تكونى قد استلمتِ رسالتى .

مونيكا : تشارلز ، تشارلز ، تشارلز ! كم أنا سعيدة بحضورك !
لقد ساورنى القلق ، وتملكنى الخوف .
وقد ضايقنى أنهم لم يجدونى عندما حاولت الاتصال بى هاتفياً هذا الصباح ،
وأن تتمتع (مسز بيجوت) بالاستماع إلي صوت حبيبى ،
وأن أحرم أنا من ذلك فى وقت كنت أتوق فيه إلى سماع صوتك وما فيه من رقة وحنان .
كم كنت أرغب فى لقائك يا تشارلز .
وأنا الآن فى حاجة ملحة إليك .

تشارلز : عزيزتى : إن ما أريده هو أن أعلم أنك فى حاجة إلىّ ،

ففى يوم لقائنا الأخير فى لندن ، اعترفت بحبك لى ،
لكننى كنت أتساءل – ولعلك تغفرين لى تساؤلى –
عما تضمنته كلماتك من معنى ،
إذ لم يبد أنك كنت فى حاجة إلىّ آنئذ ،
كما قلتِ إننا لم نعقد خطبتنا بعد ..

مونيكا : لقد عقدناها الآن . فأنا – من ناحيتى على الأقل –
قد ارتبطت بك ، ارتبطت بك إلى الأبد .

تشارلز : يبدو أن هناك جولة تسوقية أخرى أمامنا !
ولكن يا عزيزتى ، منذ أن استلمت رسالتك هذ الصباح
بشأن والدك وأخيك مايكل
وأولئك الذين احتكوا به فى الماضى ،
وأنا لا أكف عن التفكير فى ما يمكننى أن أفعله
لمساعدته .
فإذا كان هدفهم الابتزاز – وهو الأمر الذى أرجحه .
هل تظنين أننى أستطيع إقناعه بأن يجعلنى موضع ثقته ؟

مونيكا : كيف يعقل يا تشارلز أن يقوم أى شخص بتهديد والدى ؟
والدى الذى هو أشد الناس تدقيقا وتمحيصا ، وأكثرهم
حرصا وتزمتا . هذا محال .
كيف يعقل أن ينطوى ماضيه على سر خفى يثير

الشبهات ! هذا ما لا يمكننى أن أتصوره !

(يدخل اللورد دون أن يلحظ أى منهما دخوله) .

مونيكا : لم أكن أتوقع دخولك من هذا الاتجاه يا والدى ،
وكنت أعتقد أنك لا تزال فى حجرتك . أين كنت ؟

اللورد : لم أذهب بعيداً . كنت واقفا تحت شجرة الزان الضخمة

مونيكا : وما الذى جعلك تقف تحت شجرة الزان ؟

اللورد : أشعر بشىء يجذبنى نحو تلك البقعة .
غير أننى سمعت ما قلتِه عن الأسرار الخفية المشبوهة
هناك أمور كثيرة لا تعتبر جرائم يا مونيكا ،
تتجاوز كل ما يعترف به القانون : مثل سقطات عابرة
وأخطاء عن غير قصد ،
وتنازلات طائشة ، ونزوات يصعب تفسيرها ، ولحظات لا
تكاد تمر حتى نأسف لما وقع فيها ،
وأحداث نحاول إخفاءها عن الأنظار .
ألم يقع فى حياتك يا تشارلز هيمنجتون أشياء تود أن
تتناساها وأن تبقيها طى الكتمان ؟

تشارلز : هناك بطبيعة الحال أشياء يسرنى أن أتنساها ، أو
بالأحرى أتمنى لو أنها لم تكن قد حدثت على الإطلاق .
وقد تكون هناك أشياء لا تعرفينها عنى بعد يا مونيكا،

ولكن ليس هناك شيء أرغب فى إخفائه عنكِ .

اللــــورد : إذا لم يكن لديك ما تتحرج من ذكره لمونيكا إذن يحق لك أن تهنأ .

كلاكما يهيم بالآخر حبا ولا داعى لكما أن تخبرانى عما لمسته بنفسى

وإذا لم يكن لديك ما تخفيه عنها مهما شعرت بضرورة إخفائه عن العالم - فإن روحك تنعم بالسلام .

وإذا كان لدى المرء شخص واحد - واحد لا سواه فى الحياة ، يبوح له بكل أسراره -

بما تتضمنه من أفعال إجرامية ، وخسّة ، ودناءة وجبن ، ومواقف تصرف فيها بحمق -

ومن منا لم يفعل ذلك فى مناسبة أو أخرى ؟

فهو إذن يحب ذلك الشخص حبا حقيقيا ، وسيجد فى حبه خلاصا لنفسه .

يؤسفنى أنى فى الواقع لم أشعر نحو أحد بمثل هذا الحب .

كلا - إنى أحب ابنتى مونيكا بطبيعة الحال ، ولكن هناك عقبة -

إذ يستحيل على المرء أن يصارح ابنه أو ابنته بكل شيء

إن لم يكن قد أتيح له أن يكون أمينا مع شخص أكبر سنا ، يعامله معاملة الند للند .

لا يستطيع الأب أن يظهر نفسه على حقيقتها لابنته وهى طفلة .

وعندما تكون قد شبت عن الطوق يكون المرء قد نسج حول نفسه نسيجاً من الأوهام .

لقد قضيت حياتى محاولا أن أتناسى نفسى ،

أسعى للتوفيق بين نفسى وبين الدور الذى اخترت أن أوديه ،

وكلما تمادى الإنسان فى الادعاء والتمويه ، صعب عليه أن يكف عن الادعاء ، وأن يغادر خشبة المسرح ، ويرتدى ملابسه العادية ، ويتحدث دون تصنع وتكلف .

وهكذا أصبحت معبودا فى نظر مونيكا ،

كانت تعبد الدور الذى أؤديه .

وكيف يتسنى لى أن أعرف أنها لن تنكر الممثل لو رأته خارج المسرح ،

دون ملابس التمثيل وبغير مساحيق ، ولا يردد كلمات المسرحية .

مونيكا ! لم أكن حقا جديرا بحبك واحترامك ،

لكنى أرجو أن يكون فى قلبك موضع بسيط لحب والدك
عندما تعرفينه على حقيقته ،
عندما يتحطم صنم الممثل .

مونيكا : لست أعتقد إلا أن حبى لك سيزداد يا أبتاه
كلما ازدادت معرفتى بك ، إذ سيزداد فهمى لك ، ليس
هناك ما أخشى معرفته عن تشارلز .
وليس هناك ما أخشى معرفته عنك .

تشارلز : لقد تبادر إلى ذهنى يا سيدى ، وأرجو أن تغفر لى ذلك -
أن من بين ما ذكرته لى مونيكا عن زائريك اللذين - على
حد قولها - يدّعيان سابق معرفتهما بك -
تبادر إلى ذهنى أنه إن كان فى الأمر تهديد وابتزاز ،
فإن لى خبرة بهذه الأمور من عملى بالمحاماة
ويمكننى أن أتقدم بالمساعدة .

مونيكا : أرجو أن تسمح له بذلك يا والدى .

تشارلز : يمكننى ، على الأقل ، أن أدلّك على أفضل من يقدم لك
المشورة .

اللورد : ابتزاز ؟ لقد سمعت تلك الكلمة من قبل ،
عندما سألته عما يريده ، أجاب قائلا :
لست أريد شيئا سوى صداقتك ورفقتك

إنه رجل فى غاية الثراء ، كما أنها هى امرأة غنية فإذا
كان التهديد من أجل الحصول على الرفقة والصداقة ،
بل إن لديه أبناء يقتفون خطى أبيهم ، وقد حالفهم
التوفيق هم أيضا
ترى ، ماذا كان سيصبح لو أنه لم يلتق بى ؟
ليس أكثر من معلم بمدرسة ثانوية مغمورة بمكان ما فى
وسط إنجلترا . أما عن ميزى باترسون ...

مونيكا : ميزى باترسون ؟ من هى ميزى باترسون ؟

اللورد : امرأة لم يعد لها وجود .

لا هى ولا كوكب الاستعراضات الموسيقية ميزى مونت
جوى .
إنها الآن تدعى مسز جون كارجيل ، الأرملة الثرية .
أما فريد كلفرويل ، وميزى باترسون وكذلك دك فيرى ،
وريتشارد فيرى ..
هؤلاء هم الأشباح التى تطاردنى ،
كانوا جميعا أناسا طيبين ، أشخاصا كان يمكن أن
يكونوا مختلفين أشد الاختلاف عن غوميز ، ومسز
كارجيل ، واللورد كلافرتون ، عندما كنا فى أوكسفورد
كان فريد معجبا بى

فما الذى فعلت بإعجابه ؟

عودته على نوع من الحياة كان يكلفه فوق طاقته ، ولهذا لجأ إلى التزوير ، وحكم عليه بقضاء فترة فى السجن .

هل كنت أنا مسؤولا عن ضعف شخصيته ؟

نعم !

مـا أسـرع مـا نـتـجـاهـل أن أولئك الذين يعـجـبـون بنا سيحاكون رذائلنا كما يحاكون فضائلنا

أو غيـر ذلك من الصـفـات التى من أجلهـا أعـجبـوا بنا .

وهذا بالتالى قد ينمى نقاط الضعف التى جبلوا عليها .

أما (مـيزى) فـقـد أحـبـتنى بـكل مـا لديـهـا من طاقـة على الحب والهيام فى طيش وأنانية .

غير أنه ينبغى علينا أن نحترم شعور الحب عندما نلتقى به حتى

ولو كـان يشـوبـه الطيش والأنانيـة ، وألا نسـىء استـغـلاله

تلك كانت نقطة ضعفى ، وكم تؤرقنى ذكراها .

تشـــارلز : ومع هذا فلا ينبغى لهذين الشخصين أن يضايقاك ، ولن نسمح لهما بذلك .

ما الذى يمسكانه عليك من أسرار ؟

الـــلـــورد : ليس أكثر من كونهما يعرفان عنى شيئا مخجلا مشينا .

مـونيكا : يجب إذن ، يا أبتاه ، أن تخبرنا عما يعرفانه عنك ،
لماذا تريد أن تخفى عن محبيك شيئا
يعرفه تمام المعرفة أولئك الذين يكرهونك ؟

اللـورد : سأخبركما ، بكل إيجاز وبساطة :
أما فردريك كلفرويل فإنه يعود لكى يذكرنى بحدث معين
يعرف تماماً أن ذكراه لا تنفك عن ملاحقتى . ففى ذات
يوم كنا عائدين فى سيارتى إلى أوكسفورد ،
ومعنا فتاتان ، فى ساعة متأخرة من الليل ، فى طريق
صغير . ومررت بالسيارة فوق رجل عجوز راقد فى
الطريق ، دون أن أتوقف .
ثم داسه سائق آخر ، سائق شاحنة ، لكنه توقف ،
وقُبض عليه ، ثم أطلق سراحه فيما بعد ، وثبت بعد ذلك
بكل تأكيد ، أن ذلك العجوز كان قد مات ميتة طبيعية ،
ثم دهسته السيارتان بعد موته ، ولم يكن ما دسناه
سوى جثة هامدة .
وهكذا لم يقتله أحد منا . غير أننى لم أوقف سيارتى ،
وبقيت ، طوال حياتى ، أسمع من وقت إلى آخر صوتا
يهمس فى أذنى ، بين يقظتى ومنامى ، قائلا : «إنك لم
تتوقف»

وكنت أعرف صاحب الصوت :إنه فريد كلفرويل .

مونيكا : مسكين يا أبتاه ! طوال حياتك !

دون أن يشاركك فى ذلك أحد !

لم أكن أعرف مدى ما كنت تشعر به من وحدة ، ولا سبب تلك الوحدة .

تشارلز : ومسز كارجيل :

ما الذى لديها ضدك ؟

اللورد : كنت عاشقها الأول ، وكنت أرغب فى الزواج بها ، ولكن والدى حال دون ذلك ،

أقنعها بعدم جدوى زواجها منى – على حد تعبيره – وأقنعنى أنا أيضا بعدم جدوى زواجى منها .

والواقع أنه لم يكن أحدنا يصلح للآخر على الإطلاق .

لكنها كانت ذات فتنة جسدية خاصة

تفوق فتنة أية امرأة أخرى ، وهى تدرك ذلك ،

وتدرك أن شبح ذلك الرجل الذى كنت فيما مضى ،

لايزال يهفو لشبح المرأة التى كانت (ميزى)

وكنا سنؤول حتما إلى الفقر ، والتشاجر ،

والشقاء ، وربما انتهى مصيرنا إلى الطلاق ، لكنها لم تنسنى ، ولم تغفر لى .

تشـــارلز : هذا الرجل ، وتلك المرأة الحقودان

لا ترى أن كليهما أخطأ بقدر ما أخطأت وأنهما يعرفان

ذلك ؟ وهذا هو ما يدفعهما إلى الانتقام

فذلك هو سبيلهما إلى تبرير نفسيهما . دعهما إذن

يرويان قصتهما التعسة

ويهمسان بها لمن يرغبان ، ولن يستطيعا إلحاق أى أذى

بك .

الـــلـــورد : إن منطقك سليم ، لكنه لا يتصل بالموضوع . كلاهما

يذكر موقفا معينا ،

كان تصرفى فيه هو الفرار والهروب ، حدث هذا ذات

مرة ، لكننى لن أهرب هذه المرة .

لن أفر منهما . وسيكون لقائى معهما هذه المرة هو

طريقى للتخلص منهما

ها أنا قد اعترفت لك يا مونيكا

واعترافى هو الخطوة الأولى فى سبيل تحررى ،

وقد تكون أهم خطوة على الإطلاق .

وأنا أعلم ما يدور بفكرك ، إنك تظنين أننى أعانى من

تأنيب الضمير

ومن إمعانى فى التفكير فى أخطاء كان يجدر بى أن

أتناساها وتظنين أننى أعانى من المرض ، فى حين أنى
أشعر بالبرء والشفاء ! من الصعب أن نجعل الآخرين
يرون جسامة الأمور التى تبدو لهم تافهة .
إن الاعتراف بخطأ لايراه أحد خطأ أصعب من
الاعتراف بجرم يجمع الكل على أنه جريمه نكراء ؛
فالجريمة جريمة أمام القانون ، أما الخطيئة فهى خطيئة
بالنسبة إلى المخطىء نفسه . والأمر الذى اتضحت
أهميته فى الدقائق الخمس الأخيرة
ليس بشاعة أفعالى ، ولكن إقدامى على الاعتراف ،
واعترافى لك أنت يا مونيكا ، أنت بالذات ، دون سواك .

تشارلز : إنى أسلم بكل ما تقول ، ولكن ماذا تعتزم أن تفعل ؟
حتى متى ستبقى هنا يا لورد كلافرتون ، وتتحمل هذا
العذاب ؟

اللورد : حتى النهاية ،
أعتقد أن مكان التحرر وزمانه قد تحددا ، فلا داعى
لإطالة الحديث فى هذا الشأن .
وإنى واثق من أنهما يتآمران ضدى .
ها هى مسز كارجيل مقبلة نحونا ..

مونيكا : فلننصرف .

اللـــورد : بل سنبقى هنا

(تدخل مسز كارجيل)

كـارجـيـل : كنت أفتش عنك فى كل مكان يا ريتشارد ،
لدى أخبار مثيرة تهمك ! ولكن يخيل إلىّ يا مونيكا ، بل
وأجزم مما يعلو وجهك من ملامح ، أن هذا هو خطيبك ،
أرجو أن تقدميه لى .

مـونـيـكـا : مستر تشارلز هيمنجتون . مسز كارجيل

تشـــارلـز : أهلا بك !

كـارجـيـل : يا له من اسم بديع !

تشـــارلـز : يسعدنى أن اسمى قد لقى قبولا لديك يا مسز كارجيل .

كـارجـيـل : ودعنى أهنئك يا مستر هيمنجتون ،
ما أسعد حظك بخطبة فتاة مثل مونيكا .
إن سعادتها أمر يهمنى بصفة خاصة
تخيل أنى لم ألتق بها إلا منذ يومين
ومع ذلك فإنى أشعر كما لو كنت بمثابة أم لها ، ويمكن
القول إنه كان من الممكن جدا أن أكون أمها :
إذ إنى أعرف أباها منذ زمن بعيد جدا ،
بل كدت ، فى لحظة من اللحظات ، أن أتزوجه .
كان ذلك منذ زمن بعيد ، بعيد جدا .

وهكذا ترى يا مستر هيمنجتون أن الأمر بلغ حد أننى
أعتبرها ابنتى بالتبنى ،
مما يجعلنى أتردد فى مخاطبتك باسم مستر هيمنجتون
وأفضل أن أناديك باسم تشارلز .

تشـــارلز : كما تشاءين يا مسز كارجيل .

الـلـــورد : تقولين إن لديك أخبارا مثيرة تهمنا ،
هلا أخبرتنا عما وراءك ؟

كـارجـيـل : إنها تتعلق بابنك مايكل .

الـلـــورد : وما شأن مايكل ؟

كـارجـيـل : لقد روى لى قصته بالكامل .
إنك قد أسأت فهمه إساءة بالغة يا ريتشارد
وما أشد ما قاسى ذلك المسكين !
لهذا شرعت فى تفكير عميق .
أعرف أنك كنت دائما تنظر إلى كأنى بلهاء خرقاء غير
أننى – من حين إلى آخر – أهتدى إلى بعض الأفكار
الصائبة .
فبعد أن أعملت فكرى ، اكتشفت ما يحتاج إليه مايكل
ليبدأ حياته بداية جديدة
إنه يتوق إلى السفر خارج البلاد حتى يشق بنفسه

طريقاً لحياته وهذا أمر طبيعى . وحدثت نفسى : لم لا ألجأ إلى السنيور غوميز ؟

إنه رجل ثرى ، وذو نفوذ كبير فى بلده . وصديق لوالد مايكل !

وقد وجدته على أتم استعداد للمساعدة .

اللورد : وما الاقتراح الذى تقدم به السنيور غوميز ؟

كارجيل : هذه هى المفأجاة التى جئت لأزفها إليكم .

إن مايكل فى غاية السعادة ،

فقد انحلّت كل مشاكله بعد أن كان الحمل المسكين فى غاية الاضطراب فلنبتهج كلنا ونفرح !

(يدخل غوميز ومايكل)

اللورد : أنت تعلم يا مايكل أننى كنت فى انتظارك هذا الصباح لكنك لم تأت .

مايكل : بلى ، يا أبى ، وسأشرح السبب .

اللورد : وقد بلغنى أنك تناقشت حول مشاكلك مع مسز كارجيل ، ثم مع السنيور غوميز .

مايكل : عندما حدثتك يا أبى عن رغبتى فى السفر إلى الخارج لم توافقنى على وجهة نظرى .

ما فائدة محاولة البحث لى ، فى شتى أنحاء العالم ،

عن عمل شبيه بما وجدته لى هنا بلندن ،
مع رئيس آخر كالرئيس الحالى سير ألفريد ،
ينصب نفسه وصيا على سلوكى ، ويبعث لك التقارير
التى يكتبها عنى ،
وفى مكان آخر يهزأ فيه جميع الموظفين بذلك القادم من
لندن ، ذلك الإنجليزى
الذى يتقاضى أجرا عن وظيفة أنشئت خصيصا من
أجله .
كلا ! أريد أن أذهب إلى حيث أستطيع أن أشق طريقى
بنفسى ،
وحيث لا أكون مجرد ابنك ، وكفى . وهذا هو رأى
السنيور غوميز . إنه يتفهم وجهة نظرى تماما ، فى حين
عجزت أنت عن ذلك .
وقد عرض علىّ وظيفة هى بالضبط ما أبحث عنه .

اللورد : نعم ، إننى أقدر مزايا وظيفة يخلقها السنيور غوميز من
أجلك ..

مايكل : إنه لم يخلقها من أجلى .
السنيور غوميز جاء إلى لندن للبحث عن رجل يشغلها
وهو يعتقد أننى ذلك الرجل بالذات .

غـومـيـز :" نعم ، وهو أمر فى غاية الغرابة .

الـلـورد : طبعا إنك الرجل الذى يبحث عنه السنيور غوميز بالذات ولكن ليس بالمعنى الذى تفهمه ، ولا للأسباب التى تتصورها .

دعنى أحدثك عن غوميز . لا يُعقل أن يلعب دور الوصى على أخلاقك .

اسمه الحقيقى كلفرويل .

غـومـيـز : يا عزيزى دِك ، إنك تضيع وقتك عبثا وأنت تسترجع التاريخ القديم .

إن مايكل يعرف كل شىء ، فقد ذكرته له بنفسى ،

لاعتقادى بأنه خير له أن يعرف الحقائق منى قبل أن يسمع روايتك المشوهة .

ولكن يسيئنى تعريضك بقدرتى على الوصاية على أخلاق مايكل ،

فأنا حقا جدير أن أكون ذلك الوصى ،

وهو أمر ملائم تماما إذا تذكرنا أنك كنت فيما مضى وصيا على أخلاقى ،

ولو أنك بطبيعة الحال تماديت فى هذا الشأن أكثر منى كثيرا .

اللـــورد : إنك تضيع وقتك سدى فى هذا الأمر يا فريد فابنتى وخطيبها يفهمان ما نشير إليه ، إذ أخبرتهما بما حدث ، لإيضاح ما بينك وبينى من تلك المودة التى وجداها أمرا غريبا .

كـارجيل : وهل شرحت لهما أيضا يا ريتشارد ما كان بينك وبينى من مودة ؟

اللـــورد : نعم بالتأكيد

كـارجيل : إنها قصة الغرام الكبرى فى حياتى !
كان والدك ، فى تلك الأيام ، ذا سحر لايقاوم ،
فقد ذبت أمام أول نظرة من نظراته
وسأقص عليك كل شىء يوما ما يا مونيكا .

مـونيكا : يكفينى ما أعرفه فعلا عنك يا مسز كارجيل ، ولست فى حاجة إلى مزيد .

كـارجيل : غير أننى كنت رائعة الجمال فى تلك الأيام

غـوميـز : لا شك فى هذا ، فأنت الآن على قدر كبير من الجمال ، ويمكننا أن نتصور جمالك فى ذلك الوقت .
كم كان عمرك آنئذ ؟

كـارجيل : ثمانية عشر عاما لاغير !

اللـــورد : مايكل ، السنيور غوميز يقول إنه أخبرك بقصته .

هل ذكر أنه قضى فترة فى السجن ؟

مايكل : لقد ذكر لى كل شىء . وبفضل المحنة التى قاساها بسببك كان فى غاية الإشفاق والعطف على فى محنتى .

اللورد : كما أنها جعلته أيضا يخترع تلك الوظيفة التى من أجلها يبحث عمن يمكن أن يشغلها .

مايكل : هذا أمر لا يهمنى . فقد عرض على الوظيفة ومرتبها السخى ، وما يلحق بها من عمولة .

وقد نجح هو فى أن يكون لنفسه ثروة طائلة .

إنى أتوق إلى العمل فى سان ماركو !

اللورد : وماذا ستكون مهام تلك الوظيفة ؟ هل تعرف ؟

مايكل : لم نبحث تفاصيل العمل ، وسيأتى أوان ذلك فيما بعد .

غوميز : من الأفضل أن ننتظر إلى أن نصل إلى سان ماركو ، وسيسهل شرح طبيعة العمل هناك فى سان ماركو نفسها وليس فى إنجلترا .

اللورد : وهل تنوى أن تغير اسمك إلى غوميز ؟

غوميز : لا يا دِك توجد أسماء مناسبة كثيرة .

مونيكا : مايكل ! مايكل ! لا ينبغى أن تتخلى عن أسرتك ، وعن نفسك ذاتها هذا نوع من الانتحار .

تشارلز : مايكل . إنك تظن أن ما يدفع السنيور غوميز هو حب

الخير .

مـــايكل : قلت لكم إنه جاء إلى لندن للبحث عن رجل يشغل وظيفة هامة في شركته .

تشـــارلز : وظيفة لم يذكر شيئا عن طبيعتها .

مـــايكل : هذا أمر خصوصي بينه وبيني .

تشـــارلز : إنه ، على ما يبدو ، أمر في غاية الخصوصية .

غـومـيـز : حذار يا حضرة المحامي .

لا بد أن أمثالك يعرفون شيئا عن قانون القذف الشفوي وها هي مسز كارجيل ، شاهد يعتمد عليه .

تشـــارلز : إني أعرف عن قانون القذف ما يكفي ليدلنا على أنك آخر من يمكن أن يلجأ إليه . وهناك نقطة أخرى يا مايكل .

لقد عرض السنيور غوميز عليك وظيفة في سان ماركو وسيدفع لك السنيور غوميز نفقات السفر .

مـــايكل : وكذلك سيدفع مبلغا مقدما كجزء من راتبي .

تشـــارلز : سيدفع السنيور غوميز نفقات السفر .

غـومـيـز : كما دفع أبوه نفقات سفري قبل عدة سنوات .

تشـــارلز : ولا شك أن هذا العرفان بالجميل يبعث في نفسك شيئا من السرور ؟

غوميز : نعم إنه لأمر محبب إلى النفس أن يرد الإنسان دينا قديما . وخير البر عاجلة كما يقولون .

تشارلز : إنى أدرك وجهة نظرك تماما .

أتشعر حقا يا مايكل بأى ثقة فى رجل يسعى لأن يتشفى عن طريقك من والدك ؟

تذكر أنك تسلم قيادة نفسك إلى رجل لاتعرفه وتجهل كل شيء عن طبيعة أعماله .

وليس هناك ما نعرفه عنه يقينا سوى أنه قضى فترة فى السجن بسبب جريمة تزوير .

غوميز : ما قولك فى كل هذا يا مايكل ؟

مايكل : أظن أن هيمنجتون رجل صفيق جدا . لقد تناقشت مع السنيور غوميز فى كل هذه الأمور يا هيمنجتون ..

غوميز : بحثنا كل شيء بصراحة كرجلين واسعي الخبرة بالحياة وأطمئنك إلى أن مايكل ذو بصيرة نافذة ، وعقل حكيم ، وأنه عندما يعود إلى إنجلترا سيكون أغنى منك مرات عديدة .

كارجيل : ينبغي على أن أشترك هنا فى الحديث يا ريتشارد .. كان المرحوم زوجى ، المستر كارجيل ، من رجال الأعمال – ويا ليتك كنت قد قابلته يا سنيور غوميز ،

فالحق أنكما شبيهان إلى درجة كبيرة –

ولهذا فإني على دراية بميدان الأعمال ، وقد شهد لي مستر كارجيل بذلك . إن مايكل ذو مواهب فائقة في شؤون الأعمال .

لقد خبرت ذلك بنفسي ، كما خبره السنيور غوميز ، إلا أن المسكين كان يعاني من الإحباط

وظل طوال هذه السنوات يتحين الفرص لاستخدام مواهبه وها هي الفرصة قد سنحت أخيرا ، وأقبلت تدق على الباب ،

ولا يجوز لك يا ريتشارد أن تقف في طريقة ، فهذا أمر مشين .

اللورد : لا يمكنني ، كما تعرفين ، أن أقف في طريقه مطلقا .

فمايكل حر يفعل ما يشاء .

ولهذا ، فإنه إن اختار أن يسلم لك القياد يا فريد كلفرويل ، وأن يسعى بمحض إرادته نحو عبوديته ، فلا أستطيع أن أمنعه . غير أن لي ما أقوله لك يا مايكل قبل أن تذهب . إنني لن أتبرأ منك مطلقا كما تبرأت مني .

وأرى الآن بوضوح كل الأخطاء التي ارتكبتها طوال حياتي خطأ بعد خطأ ،

ومحاولاتى الخاطئة لتصحيح تلك الأخطاء بوسائل كانت هى أيضا على غير صواب .

وأرى أننا- أنا ووالدتك – بعد أن فشلنا فى أن يفهم أحدنا الآخر –

قد أسأنا فهمك كل منا بطريقته الخاصة .

وعندما أفكر فى طفولتك ، عندما أفكر فى ذلك الصبى الصغير السعيد الذى كان يدعى مايكل ،

وعندما أفكر فى سنوات صباك ومراهقتك ، وأرى كيف أن الجهود التى بذلناها لإصلاحك تعارضت فيما بينها ،

فإنى لا أشعر إلا بالأسى والانقباض .

مونيكا : تذكّر يا مايكل أنك شقيقى الأوحد ،

وأننى شقيقتك الوحيدة .

لم تكن فيما مضى تعيرنى أى اهتمام ، ففى مرحلة صبانا كان لكل منا أصدقاؤه .

وقد قبلتُ ذلك الوضع دون أى اهتمام .

ولهذا فلم أعرف إلا الآن أهمية أن يكون لى أخ شقيق .

مايكل : لا يا مونيكا . أنت تعرفين أنى أكن لك كل محبة ،

مع أننا لم نتشابه فى الميول والمشارب . وأذكر أننى عندما كنت أعود فى العطلات المدرسية ،

كنت أشعر بضيق شديد كلما رأيتك جالسة ورأسك فى الكتاب .

وذات مرة اختطفت أمُنا الكتاب من بين يديك ،

وألقت به فى النار . وضحكت أنا ملء شدقّى !

لم تكونى تميلين إلى المزاح والمداعبة ،

وكان أصدقائى يعيروننى بأختى المولعة بالثقافة الرفيعة

ومع ذلك ، كنت أحبك ، وسأظل أحبك .

وكانت لقاءاتنا نادرة . لكن ما دمنا نتبادل المودة فليس هناك ما يدعو إلى أن يتدخل أحدنا فى شؤون الآخر .

مونيكا : يبدو أنك لم تفهم كلمة واحدة مما قلت لك يا مايكل .

من حقك أن تعيش حياتك كما يروق لك بالطبع ،

كما يحق لى أن أعيش حياتى كما يروق لى . ليست المسألة مسألة سفرك إلى الخارج ،

ولكنها مسألة الروح التى أملت عليك هذا القرار .

فإذا ارتأيت أن تنكر أباك وأسرتك . فما الذى يتبقى بينك وبينى ؟

مايكل : لن يغير هذا شيئا فى الوضع فسوف أعود من وقت إلى آخر .

مونيكا : لكن كيف ستكون عندما تعود ؟ على أننى سأزعم

لنفسى ، مهما تغيرت شخصيتك ، أنك لا تزال شقيقى مايكل .

تشـــارلز : ومتى ستغادرإنجلترا ؟

مـــايكل : عندما نوفق فى الحصول على مكان بالسفينة .
ويجب على أن أشترى بعض اللوازم . سنذهب إلى لندن بعد قليل ،
وسيهتم السنيور غوميز بتدبير ما يلزمنى لمواجهة الأحوال الجوية هناك .
وله أصدقاء فى شركة الملاحة سيساعدون فى حجز الأماكن .

كـارجـيـل : ما أجمل اهتمامك ياسنيور غوميز بتدبير كل شىء .
بمجرد أن قدمت له اقتراحى كان قد أعد كل شىء .
الحق أنه كان من وحى تفكيرى الخاص !
هل أنت مصغ لى يا ريتشارد ؟
يبدو أنك شارد الذهن ، بدلا من أن تكون مبتهجا .

الـــلـــورد : أهذه هى لحظة الوداع يا مايكل ؟

مـــايكل : هذا يتوقف على الظروف .
غير أننى أستطيع أن أحضر مرة ثانية إذا كان هناك ما يدعو إلى ذلك .

ولو أنني أرى أنه عندما يتخذ المرء قراره ، فمن الأفضل أن يبادر إلى الوداع ، ويفرغ منه بسرعة .

اللورد : إذا كنت قد عزمت على الرحيل - وليس لي أن أحول دون ذلك .

فإنى أوافقك على أن خير البر عاجله .

وقد لا نلتقى ثانية يا مايكل .

مايكل : لا أرى ما يدعو إلى عدم التقائنا ثانية .

غوميز : بعد خمس سنوات سيحصل مايكل على إجازته الأولى.

مايكل : إذن لم يبق هناك مجال لأى قول .

اللورد : على الإطلاق .

مايكل : إذن ينبغى لنا الانصراف .

غوميز : نعم ، ينبغى لنا الانصراف . ستجد يا دِك أنك مدين لى بالشكر فى النهاية .

كارجيل : ليس الأب أفضل من يحل مشاكل ابنه يا ريتشارد .

فأحيانا يمكن لشخص غريب ، صديق للعائلة أن يرى الأمور بوضوح .

غوميز : لست أدعى لنفسى فضلا فى ذلك ، فقد كان الأمر مجرد ضربة حظ سعيد ،

وأننى جئت إلى إنجلترا فى نفس اللحظة التى استطعت

فيها تقديم المساعدة .

مسز كارجيل إنه توفيق من العناية الآلهية .

: إلى اللقاء يا مايكل . هل تأذن لى فى الكتابة إليك ؟

مونيكا : حسنا فعلت إذ ذكّرتنى ، هذه هى بطاقتى ، تحمل

غوميز : العنوان الكامل .

ويمكن توجيه الرسائل إلى هذا العنوان ، وإن كانت تستغرق بعض الوقت ، حتى بالبريد الجوى .

احتفظ بالبطاقة يا تشارلز . وإذا كتبت إليك يا مايكل

مونيكا : هل سترد على خطاباتى ؟

بالتأكيد يا مونيكا ، وإن كنت تعرفين أننى لا أكثر من

مايكل : الكتابة لكننى سأرسل لك بطاقة من حين إلى آخر تطمئنك على أننى حى أرزق .

نعم ! اكتب إلى مونيكا .

اللورد : والآن إلى اللقاء يا دِك ، إلى القاء يا مونيكا .

غوميز : إلى اللقاء يا مستر هيمنجتون .

إلى اللقاء يا مايكل .

مونيكا : (يخرج مايكل وغوميز)

أخشى أن وقع المفاجأة عليك كان شديدا يا ريتشارد ،

كارجيل : لكن لدى نبأ بسيط ،

وهو أنتى سأذهب فى الخريف القادم إلى أستراليا ،
بناء على نصيحة طبيبى .
وفى طريق عودتى ، سأزور سان ماركو بدعوة من
السنيور غوميز .
ولهذا فأنا فى غاية اللهفة ! غير أنه من أشد دواعى
سرورى أننى سأستطيع أن أنقل إليك أخبار مايكل .
أما الآن ، فبعد أن عثر كل منا على الآخر ، علينا أن
نبقى على هذه الصلة بيننا .
لكن يحسن بك أن تخلد إلى الراحة الآن ، إذ يبدو أنك
متعب قليلا .
سأذهب لتوديعهما .

(تخرج مسز كارجيل)

أبتاه ! أبتاه

مونيكا : إنى فى شدة الأسف . ولكن من يدرى ؟
فقد يتعلم مايكل درسه . أعتقد أنه سيعود يوما ،
وإذا صادف الفشل فى حياته فإن الحنين إلى الوطن
سيعيده إلينا .
أما إذا كان حليفه التوفيق ، فسوف يعطيه هذا ثقة
بالنفس .

إن كل ما يعوزه هو الثقة بالنفس . أبى ! إن مايكل لا

يهجرنى أنا ، ولا يهجرك ، بل يهجر نفسه ،

تلك النفس البائسة التى يحس نحوها بالخجل .

وأنا على يقين من أنه يكن لنا كل حب .

يا عزيزتى مونيكا . إن ما تقولين يلقى لدى قبولا .

اللـــــورد : ولست أخشى عليه إلا من السوء ،

ومع ذلك فأنت على صواب إذ تأملين أن يكون أكثر

توفيقا . وعندما يعود - إذا شاءت له الأقدار أن يعود -

فإنى موقن أنك وتشارلز لن تألوا جهدا فى جعله يشعر

أنه ليس منبوذا منكما .

هذا بكل تأكيد وسوف نرحب به أيما ترحيب ، ونقدم له

تشـــارلز : كل عون .

لكن الأمر يحتاج إلى جهودكما معا - أنت ومونيكا -

لكى تجذبناه نحوكما .

لن أكون موجودا عندئذ .

اللـــــورد : لقد سمعتنى أقول له إن هذا ربما يكون وداعنا الأخير .

وأنا على ثقة من ذلك الآن . وربما يكون هذا هو الحل

الأمثل .

ماذا تعنى يا والدى ؟ ستكون فى استقباله عندما يعود .

مونيكا : غير أننى الآن واثقة من أمر واحد : لابد أن تغادر (بادجلى كورت) .

إن مونيكا على صواب . ينبغى أن تخرج .

تشارلز : قد يدهشكما أنى أحس بالسلام الآن ،

اللورد : ذلك السلام الذى يجىء فى أعقاب الندم والتوبة ، عندما ينبع الندم من معرفة الحقيقة .

إنى أتساءل لماذا كنت دائما أميل إلى السيطرة على أبنائى ؟

لماذا رسمت طريقا ضيقا لمايكل ؟ لأننى أردت أن أضمن لنفسى الخلود عن طريقه . ولماذا كنت أميل إلى الاحتفاظ بك لنفسى يا مونيكا ؟

لأننى أردت أن تهبى حياتك لعبادة ذلك الرجل الذى زعمت لنفسى أننى هو ، وليتسنى لى أن أصدق مزاعمى .

لم أشعر إلا الآن بانبثاق نور الحب . ويخيل إلينا جميعا أن نعرف معنى الحب ،

لكن ما أقل أولئك الذين يعرفونه على حقيقته . والآن ، أشعر بالسعادة ، على الرغم من كل شىء ، وأحس أن السعادة قد مستنى بجناحها .

كما أشعر بالسعادة يا مونيكا لأنك وجدت رجلا يمكن

أن تحبيه من أجل شخصه .

والدى ! لقد كنت أحبك دائما ،

مــونيكا : ولكنى أحبك أكثر ، منذ عرفتك عن كثب ،

هنا فى (بادجلى كورت) . كما أننى أحبك أكثر ، لأننى

أحب تشارلز .

نعم يا عزيزتى . إنك تحبين تشارلز الحقيقى ، لا تشارلز

الـــلـــورد : الوهمى ، كما كنت تحبيننى .

الآن يا أبتاه

مــونيكا : إن ما أحبه هو شخصيتك الحقيقية ، الرجل الحقيقى

فيك ، لا الرجل الذى خيل إلى أنه أنت .

أما عن مايكل ، فإنى أحبه حتى لتخليه عنى ،

الـــلـــورد : إذ إن نفسى تلك التى تخلى عنها ، ها أنا أيضا أنكرها

وأتخلى عنها

لقد تحررت من قيد الذات التى تدعى أنها كائن آخر .

وحيث إنى تجردت من الذات ، فإنى أبدأ الآن فى الحياة

إن الموت ليهون فى سبيل معرفة معنى الحياة .

وأنا أحبك يا ابنتى ، حبا أكثر عمقا ،

وذلك لمعرفتى أن هناك شخصا آخر تحبينه أكثر من

أبيك ،

شخصا يبادلك حبا بحب ، وحيث إننى الآن أشعر بالحب نحو مايكل ، للمرة الأولى على ما أعتقد -

ولا تنسى يا عزيزتى أننى مازلت مبتدئا فى ممارسة عاطفة الحب - فهذا أمر يستحق التقدير .

والآن سأترككما برهة .

هذه أول مرة تزورنا فيها يا تشارلز فى (بادجلى كورت) ولم تكن تتوقع على الإطلاق أن تنتهى على هذا النحو ، ويؤسفنى أنك رأيت فيها كثيراً من الشخصيات والمواقف غير السارة .

ويحق لكما الآن أن تختليا ببعضكما البعض .

إنى أستودعك مونيكا يا تشارلز ، وهى فى رعايتك الآن ودوما .

سأخرج للتريض قليلا .

فى مثل هذه الساعة ؟ أرجو ألا تذهب بعيدا .

مونيكا : ولا تنس أنه لم يسمح لك بالخروج فى مثل هذه الساعة المتأخرة ، وفى مثل هذا الطقس البارد .

إن الجو يزداد برودة عند الغسق .

نعم ، تزداد البرودة عند الغسق . لكننى لن أشعر بالبرد

اللورد : ولن أذهب بعيدا .

(يخرج اللورد)

إنه يختلف كل الاختلاف عما كان عليه ،

تشـــارلز : ويبدو كما لو كان قد مر خلال باب لاتراه عيوننا ،

واستدار ، ثم ألقى علينا نظرة وداع .

لست أفهم ما الذى حدا به إلى الخروج للتريض الآن .

مــونيكا : أراد أن يتركنا بمفردنا بعض الوقت .

تشـــارلز : نعم ، أراد أن يتركنا بمفردنا ،

مــونيكا : ومع هذا يا تشارلز ، مع أننا لم نختل سويا إلا بضع دقائق .

فقد كنت أشعر طوال الوقت ..

إنى أعرف ما تريدين قوله !

تشـــارلز : لقد كنا منفردين سويا ، بطريقة غامضة ،

حتى فى وجود مايكل ،ورغم وجود الآخرين ،

لأننا بطريقة ما ، بدأنا نشعر بالاتحاد والانتماء ، وهذا الشعور ...

هو الدرع الذى يحمى كلينا .

مــونيكا : بحيث إننا نحس الآن بوجود شخص جديد

تشـــارلز : هو أنت وأنا معا .

عزيزتى إنى أحبك إلى أقصى ما يمكن للكلمات أن تعبر عنه .

إلى أبعد من ذلك . وغريب أن محاولة التعبير
تقف عاجزة قاصرة .
ومثل توقف مريض بالربو يكافح من أجل التنفس ،
يكافح المحب من أجل الكلمات القادرة على التعبير .
لقد أحببتك منذ نشأة العالم ،

مونيكا : قبل أن يولد كلانا ، كان هناك دائما - الحب الذى جمع قلبينا .
أبتاه ! وا أبتاه ! كم أود أن أتحدث إليك الآن !

تشارلز : فلأذهب للبحث عنه .

مونيكا : لنذهب سويا . ما أقربه إلينا .
مع أنه ذهب أبعد مما يمكنه من العودة إلينا إنه هناك ،
تحت شجرة الزان . وهى بقعة هادئة باردة .
لقد استعاد شخصيته عندما تخلى عن كل شخصية ،
ولم يعد الآن سوى والدى ، ووالد مايكل .
وإنى لسعيدة . أليس من الغريب يا تشارلز . أن أشعر بالسعادة الآن ؟
لا غرابة فى ذلك البتة .

تشارلز : فقد سكب الميت بركته على الأحياء
لن أخشى الهرم ولا الذبول ،

مـونيكا : ولن يخيفنى الحرمان ولا تقلب الزمان

ولن يستطيع الموت نفسه أن يصيبنى برعب أو هلع

مادمت راسخة فى يقين المحبة .

إنى أحس لديك بمنتهى الدعة والأمان ، فأنا جزء منك .

والآن ، خذ بيدى إلى والدى .

ستار

المشروع القومي للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفي عبد الوهاب / فاروق القاضي / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجي / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوييا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من الكتاب	ت : محمود على مكى
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى سليمان
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى

(تحت الطبع)

تاريخ النقد الأدبى الحديث (٣)	نون والقلم
المختار من نقد ت . س . إليوت	الحب الأول
منصور الحلاج	أوبرا ماهوجونى
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
الجماعات المتخيلة	حروب المياه
تاريخ السينما العالمية	ثلاث زنبقات ووردة
مسرح ميجيل دى أونامونو	الأدب الأندلسى
مختارات من المسرح الإسبانى	الأدب المقارن
صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	راية التمرد
الابتلاء بالتغرب	السياسة والتسامح
طول الليل	

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٢٢٢ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 041 - 6)

The Elder Statesmam

مسرحية «السياسى العجوز» هى آخر المسرحيات الخمس التى ألفها ت. س. إليوت، وهى عمل مسرحى هادئ وعميق تتجاوب فيه أصداء شتى لأفكار وخواطر سبق أن ترددت فى عديد من أعماله الشعرية والمسرحية، كما تنعكس فيها بعض ملامح شخصية إليوت فى السنوات الأخيرة من حياته .

الشخصية الرئيسية ، فى هذا العمل المسرحى ، هى اللورد كلافرتون ، وهو رجل كهل ، معتل الصحة ، يعانى من أمراض الشيخوخة المبكرة ، ويعيش فى عزلة بعد حياة حافلة بالنشاط السياسى والعملى .

إن الهيكل العام لهذه المسرحية ، وتصوير إليوت لفكرة الماضى وأشباحه ، وما لهم من تأثير على الحاضر ، مقتبس من الدراما الإغريقية ، وهذا الاقتباس هو السمة الرئيسية التى تتجلى فى جميع مسرحيات إليوت .